AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00973 1831

LG
511
C45
R2
1946

الأزهر

بين الماضي والحاضر

تأليف

منصور علي رجب

مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

جميع حقوق الطبع محفوظة للمقتطف

طبع بمطبعة المقتطف والمقطم

١٩٤٦

٣٧٧,٨
١٠٣٥

43820

تصدير

خير ما يقدم به كتاب عن الأزهر الشريف ، أقدم جامعة في العالم ، ومناط الدين الحنيف ، ونبع الشريعة الفيّاض ، قصيدة شاعرنا الأكبر المرحوم شوقي بك ، فهي أجدر ما يحيّا به معهد ، يطل على هذا الوجود من سماء ألف عام .

***

قم في فم الدنيا وحيِّ الأزهرا ... وانثر على سمع الزمان الجوهرا
واجعل مكان الدرّ إن فصّلْته ... في مدحه خرَزَ السَّماء النَّيِّرا
واذكره بعد المسجدَين[1] معظماً ... لمساجد الله الثلاثة[2] مكبرا
واخشع مليًّا ، واقضِ حقّ أئمةٍ ... طلعوا به زُهراً وماجوا أبحرا
كانوا أجلَّ من الملوك جلالةً ... وأعزَّ سلطاناً وأفخمَ مظهرا
زمن المخاوف كان فيه جنانهم ... حرمَ الأمان وكان ظلُّهم الذُّرا[3]
من كل بحر في الشريعة زاخرٍ ... ويريكه الخُلقُ العظيم غضنفرا
لا تحذُ حذوَ عصابة مفتونةٍ ... يجدون كل قديم شيءٍ مُنكرا
ولو استطاعوا في المجامع أنكروا ... من مات من آبائهم أو عُمِّرا
من كل ماضٍ في القديم وهدْمِه ... وإذا تقدَّم للبناية قصَّرا
وأتى الحضارة بالصناعة رثَّةً ... والعلم نزراً[4] والبيان مثرثرا[5]

***

يا معهداً أفنى القرونَ جدارهُ ... وطوى الليالي ركنه والأعصرا
ومشى على يبسِ المشارق نورُه ... وأضاء أبيض لجِّها والأحمرا

---

(١) الحرام والاقصى (٢) الحرام والاقصى والازهر (٣) الملجأ (٤) القليل (٥) مخلط .

وأتى الزمان عليه يحمي سنّة ... ويذود عن نسكٍ ويمنع مشعرا (١)
في الفاطميين انتمى ينبوعه ... عذب الأصول كجدّهم متفجرا (٢)
عينٌ من الفرقان (٣) فاض نميرها ... وحيا من الفصحى جرى وتحدّرا (٤)
ما ضرّني أن ليس أفقك مطلعي ... وعلى كواكبه تعلّمت السّرى
لا والذي وكلَ البيان إليك لم ... أكُ دون غايات البيان مقصّرا
لمّا جرى الإصلاح قمت مهنّئاً ... باسم الحنيفة بالمزيد مبشّرا (٥)
نبأٌ سرى فكسا المنارة حبرةً ... وزها المصلّى واستخفّ المنبرا (٦)
وسما بأروقةِ الهدى فأحلّها ... فرع الثريّا وهي في أصل الثرى
ومشى إلى الحلقات فانفرجت له ... حلقاً كهالات السماء منوّرا
حتى ظننّا الشافعيّ ومالكاً ... وأبا حنيفة وابن حنبل حُضّرا
إن الذي جعل العتيق مثابةً ... جعل الكِناني المبارك كوثرا (٧)
العلم فيه مناهلاً وعجانياً ... يأتي له النزّاع يبغون القرى (٨)

***

اللهُ أكبرُ يا ابن اسماعيل (٩) لم ... تترك لصنّاع المآثر مفخرا
بالأمس تنهضُ مصر في دستورها ... واليومَ تنهض للسماك الأزهرا
منّ على الوادي السعيد، تقلّبت ... أعطافه في وشيهنّ منشرا
حرّكنَ فيه النّيل قبل وفائه ... فوفى، وهيّجنَ الربيع مبكرا
الأزهر المعمور قُلّد حُرة ... لك في الهباتِ حَرِية ان تُشكرا
أرعيته عين العناية مصلحاً ... وأجلتَ فيه يدَ البناء معمرا
وعدٌ وعدت له، بوادر صدقه ... كالبرقِ لم يفترّ حتى أمطرا

.....

(١) النسك العبادة والمشعر موضع مناسك الحج (٢) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (٣) القرآن
(٤) الحيا المطر والفصحى اللغة العربية (٥) الحنيفة الشريعة الاسلامية (٦) المنارة المئذنة والحبرة السرور
(٧) العتيق المسجد الحرام والمثابة مجمع الزمر (٨) النزاع القصاد والقرى الضيافة .
(٩) المغفور له الملك فؤاد الاول عليه رحمة الله .

وبلغتَ بالمعروف غاية صفوه أيكون معروف الملوك مكدرا؟
لم تبغِ بالضعفاء عدواناً ولم تقذف على حرَم الشريعة عسكرا

***

نظراً واحساناً الى عُميانه وكُن المسيح مداويًا ومجبرا
والله ما تدري : لعلَّ كفيفهم يوماً يكون أبا العلاء المبصرا
لو تشتريه بنصف مُلكك لم تجد غبناً ، وجلَّ المشتري والمشترى
إن فاتهم من نور وجهك فائتٌ لم يعدموا لوجوه برّك منظرا
لمسوا نداك كمن يشاهد مزنةً ويد الضرير وراءها عينٌ ترى (١)
زدهم أبا الفاروق انك خيّر من خيّر ولد الكريم الخيّرا

***

يا فتية المعمور (٢) سار حديثكم ندًّا بأفواه الرّكاب وعنبرا
المعهد القدسيُّ كان نديُّه قطباً لدائرة البلاد ومحورا
ولدت قضيَّتها على محرابه وحبت به طفلاً وشبَّت معصرا (٣)
وتقدمت تزجي الصفوف كأنها (جاندرك) (٤) في يدها اللواء مظفَّرا

***

هُزُّوا القرى من كهفها ورقيمها أنتم لعمرُ الله أعصاب القرى
الغافل الأميُّ ينطق عنكمو كالببَّغاء مردّداً ومكرّرا
يمسي ويصبح في أوامر دينه وأمور دنياه بكم مستبصرا
لو قلتمو اختر للنيابة (٥) جاهلاً أو للخطابة باقلاً (٦) لتخيَّرا
ذُكر الرجال له فألَّه عصبةً منهم، وفسّق آخرين، وكفَّرا (٧)

---

(١) المزنة السحابة (٢) الازهر (٣) طفلا أي طفلة والمعصر الفتاة المدركة والقضية هي القضية السياسية في ثورة سنة ١٩١٩ (٤) فتاة فرنسية بتول قادت الجيوش الفرنسية في حرب مع الانجليز ثم أسرت وقتلت حرقاً (٥) في مجلسي البرلمان (٦) باقل عربي ضرب به المثل في الفهاهة .
(٧) فسقه رماه بالفسق ، وكفره رماه بالكفر

آباؤكم قرأوا عليه ورتّلوا بالأمس تاريخ الرجال مزوّرا

***

كونوا سياج العرش والتمسوا له نصراً من الملك العزيز مؤزّرا
وتفيأوا الدستور تحت ظلاله كنفاً أهشّ من الرياض وأنضرا
لا تجعلوه هوًى وخلفاً بينكم ومجرّ دنيا للنفوس ومتجرا
اليوم صرّحت الأمور فأظهرت ما كان من خدع السياسة مضمرا

***

حظٌّ رجونا الخير من إقباله عاث المفرِّق فيه حتى أدبرا
دار النيابة هيئت درجاتها فليرق في الدرج الذوائب والذرا[1]
الصّارخون إذا أسيء إلى الحمى والذّائدون إذا أغير على الشّرى
لا الجاهلون العاجزون ولا الألى يمشون في ذهب القيود تبخترا

لقد أرسل شوقي هذه الدّرة العصماء في سنة ١٩٢٤ عندما بدىء باصلاح الأزهر، وكانت الأمة قد انفكت وحدتها، وانفصمت عروتها، ولا نزال نعاني ذلك الانقسام حتى اليوم، فظهر انقسامنا كأنه تقليد سياسي تجري عليه أحزاب هذه الأمة. فنحن اليوم من حيث الاجماع على غايات مصر الوطنية حيث تركنا شوقي سنة ١٩٢٤. وما أثبتنا هذه القصيدة هنا وقدّمنا بها لهذا البحث إلاّ للذكرى، وإن الذكرى لتنفع المؤمنين.

اسماعيل مظهر

(١) المراد بالذوائب والذرا الطبقة المنتقاة من الامة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهبْ لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهّاب .

دار حوار كثير في الأيام الأخيرة بين رجال الصحافة والقانون ثم البرلمان حول الازهر بمناسبة تعيين شيخ له خلفاً للمرحوم الاستاذ المراغي ، وشغل هذا الحوار جميع الطبقات تقريباً . ولفت نظري أن كثيراً من الناس لايعلمون شيئاً عن الازهر ، لدرجة أني سئلت عنه غير مرّة أسئلة من رجال أعتقد انه لا يصح الجهل بها منهم ، ففكرت في أن أنشر صورة عن الازهر تعطي القارىء فكرة عنه وفي الوقت نفسه أرجو أن تكون باعثاً على العناية بأمر الازهر أقدم جامعة على ظهر الارض ومن أعظم مفاخر مصر في تاريخها الاسلامي .

ومن حسن الحظ أن أعطيت دفة سفينة الازهر الى رجل مصلح بطبعه جامعي بفطرته خبر النظام الجامعي في أوربا وفي غيرها ومثقف في الناحيتين الشرقية والغربية فهو قدير على السير به مع قافلة الزمن بما يناسب روح العصر ويتمشى مع ما ورثنا من عرف صحيح ، ذلك هو فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق . وفضيلته علمٌ من أعلام الفكر ومؤمن من كبار المؤمنين المخلصين للأزهر الغيورين عليه المهتمين بشئونه فأملنا كبير فيه .

ولقد رجعت لهذا البحث الى : —

١ — كتاب دعائم الاسلام للقاضي أبي حنيفة النعمان — غير أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب بل ذلك رجل كان مالكي المذهب ثم اعتنق مذهب الروافض وأصبح من كبار المؤلفين فيه — وهو مخطوط بالمكتبة الملكية تحت رقم ١٩٦٦٥ ب

٢ — شرح الاخبار لأبي حنيفة أيضاً وهو كسابقه تحت رقم ٧٠٦٢

٣ — مجموعة للسيوطي يقال انها بخط يده وهي بالمكتبة الازهرية تحت رقم ٢٠٤

٤ — البحر المحيط للزركشي وهو مخطوط أيضاً بمكتبة فضيلة الاستاذ عميد كلية أصول الدين الشيخ عيسى منون

٥ — خطط المقريزي « طبع مطبعة النيل »

٦ — حسن المحاضرة للسيوطي « مطبعة الموسوعات »

٧ — شذرات الذهب لابن العماد « نشر مكتبة القدسي »

٨ — الضوء اللامع للسخاوي « نشر مكتبة القدسي »

٩ — خلاصة الأثر للمحبي « نشر محمد باشا عارف »

١٠ — طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي طبع المطبعة الحسينية .

١١ — معجم المطبوعات العربية والمعربة لاليان يوسف سركيس بمكتبة مجمع فؤاد الأول للغة العربية تحت رقم ١٥٨٦

١٢ — الملل والنحل للشهرستاني على هامش الفصل لابن حزم « المطبعة الادبية »

١٣ — تهذيب الاسماء واللغات للنووي « المطبعة المنيرية »

١٤ — مقدمة المجموع للنووي أيضاً « المطبعة المنيرية »

١٥ — مقدمة عمدة القاري للعيني « المطبعة المنيرية »

١٦ — المنتخبات لمعالي احمد لطفي السيد باشا

١٧ — تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده للسيد محمد رشيد رضا

١٨ — الخطط التوفيقية لعلي باشا مبارك « المطبعة الاميرية »

١٩ — شرح ديوان ابن الفارض « المطبعة الازهرية »

٢٠ — عجائب الآثار للجبرتي « المطبعة الأزهرية »

٢١ — دائرة المعارف الاسلامية

٣٢ — فوات الوفيات لابن شاكر

وقد سلكت في هذا البحث أولاً كلمة موجزة عن تاريخ الأزهر المادي ولم أشأ أن

أسترسل في هذه الناحية فقد تكلم فيها كثيرون . وقدمت لتاريخه العلمي بكلمة موجزة أيضاً عن الحركة العلمية الاسلامية بمصر قبل أن يكون الأزهر . وفي تاريخه العلمي أعطيت فكرة عن مذهب الروافض هؤلاء الذين أنشأوا الأزهر لخدمة مذهبهم كما أعطيته فكرة عن رأيهم في تفسير القرآن الكريم . ومثلاً عن فقههم الذي ابتدأ الأزهر حياته العلمية الرسمية به ونهجت هذا المنهج لأن هذا المذهب وما يتعلق به هو الذي كان يدرّس في الأزهر في أول حياته العلمية . بل لأجله أنشىء الازهر .

بعد ذلك تكلمت عن إنتاج الأزهر في بعض رجاله، وساقني هذا الى ذكر أشهر الكتب التي تدرّس فيه . وتكلمت عن ظاهرتين اثنتين أضرّتا بسير الدراسات الاسلامية وهي ظاهرة تحريم المنطق والفلسفة ، وظاهرة النهى عن التأليف وأن هذه الأخيرة وجهت انتاج الأزهر الى الشروح والحواشي والتقارير . وتكلمت عن مجهود الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده في اصلاح الأزهر مبيناً الخطوات التي خطاها الأزهر في سبيل هذا الاصلاح إلى أن وصل إلى هذه الحال التي نراها الآن . وذكرت رؤساء الأزهر من أول شيخ تولى أمره إلى الآن مبيناً كيف كان يدار قبل أن تنشأ وظيفة المشيخة مترجماً لبعض شيوخه تراجم مختصرة صدرتها بكلمة عن فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخه الحالي . مبيناً بعض الحوادث التي وقعت فيه بسبب المشيخة . وأخيراً أتيت باحصاء عن طلابه وعدد المتخرجين فيه في السنة الماضية وعن ميزانيته ومكتبته . ثم أدليت برأيي في توجيه الأزهر في هذا العصر الذري .

وعند الكلام على السيوطي في انتاج الأزهر نشرت تصديره عن أول سورة الفتح بتعليق فضيلة الأستاذ الأكبر عليه . فانه يعطينا مثلاً عن البحث والدرس والاشراف العلمي في ذلك الوقت وهذا التصدير كان موضوع الدرس الذي ألقاه فضيلته أمام جلالتي ملك مصر فاروق الأول ، وملك الجزيرة عبد العزيز آل سعود في الجامع الأزهر في ثاني يوم للزيارة الملكية في يناير ١٩٤٦ . كل هذا قدمته خالصاً لوجه الله والعلم ، والله ولي السداد والرشاد .

مصر الجديدة : ربيع الثاني سنة ١٣٦٥
مارس سنة ١٩٤٦

منصور علي رجب

كلمة

عن تاريخه المادي

بين حي الديلم في شمال القاهرة وحي الأتراك في الجنوب وبعد عام من فتح من يسمون أنفسهم الفاطميين مصر بنى جوهر الصقلي قائد جند المعز لدين الله الجامع الأزهر فكان أول مسجد أسس بالقاهرة وثالث مسجد بالديار المصرية . الأول جامع عمرو بالفسطاط . والثاني جامع احمد بن طولون بالقطائع . والثالث الأزهر بالقاهرة .

شرع جوهر في بنائه في جمادى الأولى سنة ٣٥٩ ، وكمل في رمضان سنة ٣٦١ هـ ، وفتح للصلاة في هـذا الشهر الذي كمل فيه البناء .

وكتب جوهر بدائرة القبة التي في الرواق الأول كلمة تاريخها سنة ٣٦٠ هـ وهي على يمين المحراب والمنبر نصها بعد البسملة : « مما أمر ببنائه عبد الله ووليه أبو تميم معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الأكرمين على يد عبـده جوهر الكاتب الصقلي وذلك في سنة ٣٦٠ هـ » وليس لهذه الكلمة الآن وجود .

ظلَّ الأزهر في عناية دولة الروافض ، ولما دالت تغير الحال في عهد الأيوبيين إذ كانوا سنيين فحاولوا محو كل أثر للدولة البائدة وحملوا كافة الناس على التزام مذهب ابي الحسن الأشعري .

وفي سنة ٧٠٩ هـ بنى الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش المدرسة الطيبرسية وجعلها مسجداً لله تعالى زيادة في الجامع الأزهر وجاء أقبغا عبد الواحد فبنى المدرسة الاقبغاوية سنة ٧٤٠ هـ وألحقها بالجامع الأزهر .

وفي سنة ٧٦١ هـ أحبَّ الأمير الطواشي سعد الدين بشير الجامدار الناصري عندما سكن بجوار الأزهر أن يؤثر فيـه أثراً صالحاً . فاستأذن السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاون في عمارة الجامع فأذن له في ذلك . وكان قد استجدَّ بالجامع عدة مقاصير . ووضعت فيه

صناديق وخزائن حتى ضيقته فأخرج الصناديق والخزائن ونزع تلك المقاصير وتتبع جدرانه وسقوفه بالاصلاح حتى عادت كأنها جديدة وبيض الجامع كله وبلطه ومنع الناس من المرور فيه.

وفي سنة ٨٤٤ هـ شيد الطواشي جوهر القنقبائي المدرسة الجوهرية بالقرب منه عند بابه الصغير تجاه زاوية العميان — توفى جوهر في سنة انشائها فدفن بها — وهي مدرسة صغيرة ليس بها عمد وتشتمل على لوانين متقابلين وبها قبلة صغيرة.

وجاء الملك الأشرف ابو النصر قايتباي — توفي سنة ٩٠١ هـ — فأنشأ به ميضأة وفسقية وسبيلاً ومكتباً على باب الجامع. والملك الظاهر أبو سعيد قانصوه جاء فرتب به الخبز في شهر رمضان. ولما جاء الملك الأشرف قانصوه الغوري — آخر المماليك (٩٠٦ — ٩٢٢ هـ) — ضاعف ذلك في أيامه أضعافاً كثيرة وبنى المئذنة ذات البرجين.

وجاء عثمان كتخدا القزدوغلي فبنى زاوية العميان في سنة ١١٤٨ هـ.

وبعد ذلك جاء عبد الرحمن كتخدا — المتوفى سنة ١١٩٠ هـ — فكان من أكثر الناس إحساناً الى الازهر فهو الذى أنشأ المقصورة المعروفة الآن بين الازهريين «بالزيدة» أو بالليوان وهي أصغر من المقصورة القديمة ويفصلها عنها ليوان ممتد بطولها ارتفاعه أكثر من نصف ذراع وبنى بها محراباً للصلاة وأقام بها منبراً للخطابة.

وأنشأ لهذه المقصورة باباً عظيماً تجاه حارة الباطلية [1] وبنى بأعلاه مكتباً لتحفيظ أيتام المسلمين القرآن.

وإذا كانت الحملة الفرنسية قد أنزلت بالازهر خسائر فادحة فان عطف الأسرة العلوية على الازهر يكتب لها بمداد الفخر. فالازهر يحتفظ لهذه الاسرة وبخاصة لمنشىء الازهر الحديث المغفور له الملك فؤاد الاول، يحتفظ له بآثار ستبقى خالدة خلود الدهر وقبل أن نرى هذا الاثر الخالد نجمل القول في تاريخ الازهر العلمي ونظامه الداخلي في عصوره القديمة مقدمين لذلك بكلمة موجزة عن الحركة العلمية الاسلامية بمصر قبل أن يكون الازهر.

---

(١) عرفت بطائفة يقال لهم الباطلية. وسبب هذه التسمية أن المعز لما قسم العطاء في الناس جاءت طائفة فسألت العطاء فقيل لها فرغ ما كان حاضراً فقالوا رجعنا نحن فى الباطل فسموا الباطلية وعرفت هذه الحارة بهم والآن غير اسمها بشارع «المقريزي»

كلمة

عن الحركة العلمية الاسلامية بمصر
قبل أن يكون الازهر

ابتدأت الحركة العلمية بمصر بعد الفتح بتحفيظ القرآن الكريم وأول من أقرأ القرآن بها رجل من الصحابة شهد فتح مصر هو عُبيْد بن فخر المغافري ويكنى أبا أمية [1] وكان يفتي المسلمين في أمور دينهم عبد الله بن عمرو بن العاص . وفي سنة ٣٦ هـ عرف المصريون نوعاً من الدرس لم يكن من قبل، ذلك هو التحدث في الترغيب والترهيب والفتن ، وأول من أوجد بمصر هذا الدرس هو سليم بن عنز النجيبي [2] وهو أول من أوجد بمصر سجلاً في المواريث .

أخذت هذه الحركة تنمو وتزداد شيئاً فشيئاً حتى جاء يزيد بن حبيب في عهد عمر بن عبد العزيز فزاد فيها كذلك شيئاً لم يكن ، ذلك انه كان أول من نشر العلم بمصر في الحلال والحرام [3] .

وإذا كان عمر ابن عبد العزيز قد جعل الفتيا بمصر الى ثلاثة رجال منهم يزيد بن حبيب هذا الذي وضع لبنة في أساس الحركة العلمية بمصر . فلقد جاء عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمي فزاد في درس القرآن الكريم بمصر شيئاً لم يكن ، ذلك انه كان أول الناس اقراء بمصر بحرف نافع . وعرفت مصر منه هذا الدرس قبل الخمسين ومائة [4] .

---

(١) خطط المقريزي ج ٤ ص ١٤٣

(٢) من الطبقة الاولى من التابعين ولاه معاوية القضاء بمصر فمكث بها قاضياً عشرين سنة وتوفي بدمياط سنة ٧٥ (حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ١٣٢ هـ)

(٣) يزيد بن حبيب هذا هو أستاذ الليث بن سعد وكان الليث يقول عنه هو سيدنا وعالمنا توفى ١٢٨ هـ

(٤) توفى ابن ميسرة سنة ١٨٨ هـ وكان فقيهاً عفيفاً شريفاً .

ولقد عرفت مصر في هذه الناحية طائفة جليلة من أئمة القراءات منهم : عثمان بن سعيد الملقب بورش ولقد أخذ القراءة عن نافع وهو الذي لقبه بورش لشدة بياضه (١) .

على هذا النحو كان بمصر درس القراءات وتحفيظ القرآن الكريم بجواره درس القصص. ودرس أحكام الشريعة وجد في هذا الدرس الأخير يزيد بن حبيب فتلميذه الليث بن سعد . وفي أيام الليث بن سعد هذا دخل مصر بعلم مالك عبد الرحيم بن خالد بن يزيد بن يحيي مولى جمح — توفى بالاسكندرية سنة ١٦٣ هـ — فروى عنه الليث بن سعد واشتهر مذهب مالك بمصر ولم يزل بها مشتهراً حتى قدم الى مصر محمد بن ادريس الشافعي في سنة ١٩٨ فصحبه جماعة من أهل مصر منهم الربيع بن سليمان . والمزني والبويطي وكتبوا عنه ما ألفه وعملوا به فاشتهر بمصر مذهب الشافعي كما اشتهر بها مذهب مالك من قبل .

أما مذهب أبي حنيفة فلم يكن أهل مصر يعرفونه كما يعرفون مذهب مالك والشافعي في ذلك الوقت . ويعلل المقريزي سبب رغبتهم عنه أن اسماعيل بن اليسع الكوفي الذي تولى القضاء بمصر بعد ابن لهيعة كان يذهب الى قول أبي حنيفة وكان مذهبه ابطال الاحباس ولم يكن هذا المذهب معروفاً بمصر لذلك ثقل عليهم أمره وسئموه (٢)

ولهذه المناسبة نقول أن فقهاء الحنابلة لم يسمع عنهم بمصر إلاَّ في القرن السابع وما بعده وذلك أن الامام احمد كان في القرن الثالث ولم يبرز مذهبه خارج العراق إلاَّ في القرن الرابع . وفي هذا القرن ملك الروافض مصر واضطهدوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة وأقاموا مذهبهم كما عرفنا . ويقول السيوطي « إن أول امام علمت حلوله بمصر الحافظ بن عبد الغني المقدسي صاحب العمدة (٣) »

اتسعت الحركة العلمية الاسلامية بمصر بعد أن دخلها مذهب مالك والشافعي وبعد أن وفد عليها من وفد وظهر فيها من العلماء من ظهر ، وإذا أردت أن تتخيلها أكثر فتخيل الشافعي

---

(١) أصله مصري قبطي . انتهت اليه رياسة الاقراء بالديار المصرية في زمانه توفى سنة ١٩٧ (راجع حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ٢٣٠)

(٢) خطط المقريزي ج ٤ ص ١٤٥ (٣) راجع حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ٨٢٢ ، والمقدسي هذا توفى بالقاهرة سنة ٦١١ هـ .

يلقي درس الفقه بمسجد عمرو أو الربيع بن سليمان[١] يلقي درس الحديث بجامع احمد بن طولون، وتخيل الشافعي وابن هشام قد اجتمعا ليتناشدا شعر العرب.

تخيلها في هؤلاء الأئمة قبل أن يكون الأزهر. تخيلها في أئمة الحديث والنحو واللغة والشعر والأدب بجوار ما تقدم من أئمة الفقه والقراءات.

تخيل بمصر قبل أن يكون الأزهر. النسائي[٢] من أئمة الحديث وعبد الرحمن بن عمر ابن أبي الفهم[٣] وسليمان بن داود بن حماد[٤] من فقهاء المالكية والمزني[٥] والبويطي[٦] من فقهاء الشافعية. والقاضي بكار بن قتيبة[٧] وابن أبي عمران موسى بن عيسى البغدادي[٨] من فقهاء الحنفية وابن هشام[٩] وابن ولاد[١٠] من أئمة النحو واللغة وهذا ابن الحكم[١١] وسعيد بن يونس[١٢] وأبو عمر الكندي[١٣] من أئمة التاريخ وكثير عزّة[١٤] وأبو تمام[١٥] والمتنبي[١٦] من الشعراء.

.....

(١) صاحب الامام الشافعي وراوي كتبه والمؤذن بجامع الفسطاط. روى عنه أصحاب السنن الاربعة والطحاوي وأبو زرعه. توفي سنة ٢٧٠ هـ.

(٢) كان يسكن بزقاق القناديل بجوار مسجد عمرو بالفسطاط. قال الذهبي هو أحفظ من مسلم. وقال أبو علي النيسابوري رافقت من ائمة الحديث أربعة منهم النسائي بمصر. وقال الحاكم كان النسائي أفقه مشايخ مصر في عصره وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعرفهم بالرجال. له من المصنفات السنن الكبرى والصغرى وهي احدى الكتب الستة خرج من مصر سنة ٣٠٣ ومات بمكة (حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ١٦٣) (٣) روى عنه البخاري وأبو زرعه توفي سنة ٢٣٤ (٤) قرأ على ورش وروى عنه أبو داود والنسائي توفي سنة ٢٥٣

(٥) قال عنه الشافعي لو ناظر الشيطان لغلبه وقال عنه الرافعي: المزني صاحب مذهب مستقل وله كتب كثيرة منها المبسوط والمختصر توفي سنة ١٦٤ ودفن قريباً من الشافعي (٦) خليفة الشافعي في حلقته بعده حسده قاضي مصر فسعى به الى الواثق بالله أيام المحنة بخلق القرآن فحمل الى بغداد مغلولا مقيداً فحبس بها الى أن مات في القيد والسجن سنة ٢٣١ هـ (٧) قاضي الديار المصرية وممن روى عنه ابن خزيمة وله تصانيف في الشروط والوثائق والرد على الشافعي فيما نقضه على أبي حنيفة توفي سنة ٢٧٠ (٨) تلميذ محمد بن ساعة وحدث عن عاصم بن علي وهو شيخ الطحاوي توفي سنة ٢٧٥ هـ

(٩) هذب سيرة ابن اسحق فصارت تنسب اليه توفي سنة ٢١٨ هـ (١٠) مصنف كتاب الاقتصار لسيبويه وشيخ الديار المصرية في العربية توفي سنة ٣٣٢ هـ (١١) مصنف فتوح مصر وروى عنه النسائي وأبو حاتم (١٢) صاحب تاريخ مصر (١٣) صنف فضائل مصر وكتاب قضاة مصر وكان في زمن كافور (١٤) أقام بمصر مدة في كنف عبد العزيز بن مروان قال له قائل ما بال شعرك قد قصرت فيه فقال ماتت عزة فكيف أطرب، وذهب الشباب فلا أعجب، ومات عبد العزيز بن مروان فلا أرغب وانما الشعر عن هذه الخلال. (١٥) كان في مصر يسقي الماء في مسجد عمرو توفي بالموصل سنة ٢٢٨ هـ (١٦) أقام بمصر مدة أربع سنين عند كافور الاخشيد يمدحه. قتل سنة ٣٥٤ هـ.

هذه الحركة العلمية القويمة في ظل هؤلاء العلماء الذين كانوا في مصر مابين زائر ومقيم ، لو قدِّر لها أن تستمر كما كانت وقتئذٍ في اخلاص الشافعي لفقهه ، والنسائي لحديثه ، وابن هشام للغته ، وأبي تمام لشعره ، لو قدِّر لها أن تستمر على هذا النحو بمصر في كل عصورها لتغير وجه التاريخ فيها ، ليس في ذلك من شك .

ظلَّ جامع عمر مهد الحركة العلمية في الفسطاط يسنده في ذلك جامع احمد بن طولون في القطائع حتى ملك الروافض مصر فبنوا القاهرة وبنوا فيها الأزهر .

تاريخه العلمي

اتفقت كلمة المؤرخين على أن أول تاريخ علمي للأزهر يبتدىء في صفر من سنة ٣٦٥ هـ ففي هذا التاريخ ابتدأ علي بن النعمان القاضي أحد فقهاء مذهب الروافض يجلس في الأزهر ويملي مختصر أبيه في فقه المذهب ، وكانوا يسمونه فقه آل البيت . وعلى هذا يكون هذا الكتاب المسمى « بالاختصار » أول كتاب درس في الأزهر في تاريخ حياته العلمية . ولقد هداني بحثي إلى أن هذا الكتاب غير موجود بمصر . ويا حبذا لو أمر فضيلة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ مصطفى عبد الرازق بالبحث عن هذا الكتاب في مظان وجوده ليكون في مكتبة الأزهر تحفة تاريخية باعتباره أول كتاب درّس فيه .

وافتتاح الأزهر داراً للعلم في ذلك التاريخ ، كان في آخر عهد المعز لدين الله ، أول خلفاء هذه الدولة بمصر . وفي عهد العزيز بالله بن المعز لدين الله سنة ٣٧٨ هـ . رُتب في الأزهر أول درس بمعلوم جارٍ من قبل السلطان . وابتدأ الأزهر حياته العلمية بدرس الفقه بالمجان . وليس هذا فحسب ، بل فوق هذا كان ينفق على طلبته ما يكفيهم ، وبنيت لهم دار بجوار الأزهر ليقطنوا فيها . وكان هذا التشجيع بالانفاق والسكنى في أيام وزارة يعقوب بن كلس الذي لم يكتفِ بهذا بل كان يعطيهم هو أيضاً من ماله الخاص في كل سنة .

ابتدأ الأزهر حياته العلمية المنظمة بخمسة وثلاثين طالباً . ولم يشجع هؤلاء بما رأينا فحسب ، بل كان هناك لون آخر من ألوان التشجيع . فيحدثنا المقريزي أن العزيز بالله « خلع عليهم في يوم عيد فطر وحملهم على بغلات » . ولم يكن الأزهر في ذلك العهد مقصوراً على الرجال فحسب ، بل كان للمرأة فيه نصيب فكنَّ يفردنَ فيه بمجلس خاص [1] .

(١) خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٢٦

وقد يكون من الحسن بهذه المناسبة أن أقول إن المرأة المسلمة بمصر وغير مصر كانت تصل الى درجة من الثقافة بحيث يجاز لها بالتدريس والافتاء. ومدلول الأجازات من الأساتذة في ذلك العصر كان يساوي الشهادات عندنا الآن. فمثلاً يحدثنا ابن العماد صاحب شذرات الذهب أن ضياء الدين بن منصور السعدي المقدسي الحنبلي محدث عصره سمع بدمشق من ابي المجد البانياني وابن الموازيني وغيرهما. وبمصر سمع من البوصيري وفاطمة بنت سعد الخير.

وسمعت فاطمة بنت مؤرخ الشام ابن عساكر من ابن طبرزد وأجاز لها الصيدلاني. وكانت كريمة بنت عبد الوهاب المعروفة ببنت الحبقبق راوية وأجاز لها مسعود الثقفي. وروت هدية بنت عبد الحميد المقدسية الصحيح عن الزبيدي. وما أريد أن استطرد في ضرب الأمثال فأمر هذا مشهور. وإذا كان من الحسن أن استطردنا بهذه الكلمة عن المرأة. فقد يكون من الواجب أن نعرف شيئاً عن فقه الروافض الذي ابتدأ الأزهر حياته العلمية به.

حكم أصحاب هذا المذهب مصر أكثر من قرنين اثنين من سنة ٣٥٨ هـ الى سنة ٥٦٧ هـ نشروا فيها مذهبهم بكل الوسائل. ومذهبهم هذا هو مذهب الاسماعيلية الباطنية. وظل هذا المذهب هو المذهب الرسمي لمصر يعمل به القضاء والفتيا اذا استثنينا فترة وجيزة جلس فيها للقضاء بمصر أربعة قضاة يحكم كل منهم بمذهبه ويورث على مقتضاه. أحدهم اسماعيلي، وثانيهم امامي، وثالثهم مالكي، والرابع شافعي. وكانت هذه الفترة في سنة ٥٢٥ هـ بعد أن استولى على الوزارة بطريق الثورة احمد بن الأفضل شاهنشاه ابن امير الجيوش. ولكن هذا النظام لم يدم بل عاد الى ما كان عليه لمذهب الاسماعيلية بعد أن قتل الوزير في سنة ٥٢٦ هـ. واستمر العمل به وأنكر ما عداه الى أن جاء صلاح الدين الأيوبي فصرف قضاة هذا المذهب وفوض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعي فلم ينب عنه في اقليم مصر الا من كان شافعي المذهب فتظاهر الناس بغيره واختفى مذهب الاسماعيلية من أرض مصر وكانت منهم بقية في الصعيد في زمن علي بن وهب القشيري الشهير بابن دقيق العيد – توفي بقوص ٦٦٧ هـ – فأجرى مذهب أهل السنة وأزال مذهب الروافض.

كان مذهب الروافض هذا يقوم على أسس منها نظرية الوصية وليس هذا مكان الكلام

على هذه النظرية ومن أين نبتت بل يكفي أن نقول : إن أول من دعا اليها في الاسلام هو عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء «أسلم سنة ٢٩ هـ . في خلافة عثمان» وأخذ يطوف بهذه النظرية البلدان الاسلامية ومنها مصر وانتهى به المطاف الى المدينة حيث قامت الثورة على عثمان .

* * *

ونظرية الوصية هذه ترمي الى أن النبي صلوات الله عليه قد وصى لعلي بالخلافة من بعده. وعليٌ عند سائر فرق الروافض إمام معصوم مفروضة طاعته فيجمعهم القول بامامته نصًّا ووصاية ، وبأن الامامة لا تخرج عن أولاده ، وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية « حذر » من عنده . فليست الامامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة . ويقام الامام بتنصيبهم بل هي قضية أصولية وهي ركن من أركان الدين لا يجوز للرسول إهماله وإغفاله ولا تفويضه الى العامة وإرساله .

وعندهم أن الاسلام بني على سبع دعائم روى في كتاب « دعائم الاسلام » عن جعفر بن محمد أنه قال : بني الاسلام على سبع دعائم . الولاية وهي أفضلها وبها وبالوالي يوصل إلى معرفتها . والطهارة . والصلاة . والزكاة . والصوم . والحج . والجهاد . وكتاب دعائم الاسلام هذا الذي وردت فيه هذه الرواية هو للقاضي أبي حنيفة النعمان . وكتابه هذا من أمهات كتبهم حتى ان الظاهر جعل جائزة مالية لمن يحفظه وهذا الكتاب موجود منه الجزء الاول بالمكتبة الملكية وهو بالتصوير الشمسي مأخوذ عن نسخة خطية بمتحف ليدن .

ويستدلون على أن النبي صلوات الله عليه قد وصى لعلي بالخلافة من بعده بحديث غدير خم — غدير خُم على بعد ثلاثة أميال من الجحفة بسرة الطريق — وهذا الحديث موجود في كتاب شرح الأخبار وهو أيضاً للقاضي أبي حنيفة النعمان . ورواه احمد في مسنده ونقله عنه المقريزي بعبارة تختلف عن عبارة شرح الأخبار والحديث موجود بالمسند ج ٢ ص٣٣٢، ج ٣ ص ١٢٠ ، ١٤٥ ، ج ٤ ص ١٠٢ .

ولهذا كانوا يعتقدون أن أبا بكر وعمر قد خرجا على هذا النص . وأنقل هنا بيتين جاءا في كتاب شرح الأخبار بالصفحة ١٧٧ تحت عنوان « لله درّ الناظم » وكتاب شرح

الأخبار هذا هو الذي تقدّم ذكره للقاضي أبي حنيفة النعمان . وقد اطلع عليه المعز لدين الله بعد أن ألف فأثبت منه ما أثبته وأسقط منه ما أنكره . وها هي ذي الأبيات :

صدّيقهم بعد النبي تزندقا وكذاك فاروق الصحابة فرّقا
بين النبي وآله ووصيه والمسلمين درا بذا من حققا

وكانوا يذهبون الى تأويل آي القرآن الكريم تأويلاً يتمشى مع عقيدتهم في الأمامة . فمثلاً يرون في قول الله تعالى « أمْ يحسدُون الناس على ما آتاهم الله من فضله » يرون أنهم هم الناس المحسودون على ما آتاهم الله من الأمامة دون خلق الله جميعاً .

وفي قول الله تعالى « إن الله يأمركم أن تؤدُّوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتمْ بين الناس أنْ تحكموا بالعدل » يقولون إيانا عني بهذا أن يؤدي كل إمام لمن يكون بعده الكتب والعلم والسلاح .

« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » يقولون نحن الصادقون . وهذا الرأي في تفسير هذه الآيات نقلته عن كتاب دعائم الاسلام من صفحة ١٥

والى هنا أظنني قد صوّرت الى حدٍّ ما بعض ما كان يدرس في الأزهر في فجر حياته العلمية وأعطيت القارىء فكرة عن المذهب من ناحية العقيدة كما أعطيته فكرة عن رأيهم في بعض تفسير آي القرآن المجيد .

بقي أن نعرف شيئاً عن درس الفقه .

خالفوا في كثير منه ما اتفقت عليه المذاهب الأخرى . فمثلاً أمروا بألاَّ يرث مع البنت أخ ولا أخت ولا عم ولا جد ولا ابن أخ ولا ابن عم . ولا يرث مع الولد الذكر أو الأنثى إلاَّ الزوج أو الزوجة والأبوان والجدَّة ، ولا يرث مع الام إلاَّ من يرث مع الولد [1] .

واكتفينا في هذا بالنقل عن المقريزي ، وكان يحسن أن أنقل عن كتب القوم أنفسهم في الفقه

وبهذا حكموا من فجر حكمهم بمصر وكانوا يعتبرون الخروج على هذه الاحكام عداوة لفاطمة .

(١) خطط المقريزي جـ ٤ ص ١٥٦

جاءوا للصوم فأمروا بأن يبدأ من اليوم الذي يرى في عشيته الهلال ، وأوّلوا لذلك الحديث القائل : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته » فقالوا معناها صوموا اليوم الذي يرى في عشيته الهلال كما يقال تهيئوا لاستقباله فيقدم التهيؤ على الاستقبال .

واضطرهم الى ذلك كله مذهبهم في أوائل الشهور فكانوا يرون أن ستة أشهر من السنة تامة وستة أشهر ناقصة وأن كل ناقص منها فهو تالٍ لتامٍّ . فلما قصدوا استخراج الصوم والفطر على هذا الحساب خرج قبل الواجب بيوم في أغلب الاحيان فأوّلوا الحديث وصاموا على مذهبهم هذا الذي ينسبونه الى جعفر بن محمد الصادق وزعموا أنه سرٌّ من أسرار النبوّة (١) .

هذا وقد أمر القوم بأن يؤذن لصلاة الظهر في أول الساعة السابعة ، ولصلاة العصر في أول الساعة التاسعة « بالعربي » وكانوا يمنعون صلاة الضحى وصلاة التراويح .

***

كان مذهب الروافض هو المذهب السائد في دولته ، وتزعّم الأزهر تدريسه وما يتصل به ، يسنده في ذلك جامع عمرو ، ومجلس الفقهاء في دار الوزير يعقوب ابن كلس ، سارت هذه الحركة العلمية التي يحمل لواءها الأزهر على هذا النحو واشتدت لما أن فتحت دار الحكمة في عهد الحاكم بأمر الله ثالث خلفاء هذه الدولة بمصر . وبعد أن افتتح الازهر حياته بدرس الفقه أصبحت الدائرة تتسع لغيره من العلوم وأصبح بجوار الأزهر من يشد أزره في الحركة العلمية فأصبح الأطباء ، والمنجمون ، بجوار الفقهاء والنحاة وأهل اللغة .

وكان الأزهر بجوار ذلك محلاً لتقاليد الروافض في الموالد والمواسم . فكان بيتاً من بيوت الله ، ومدرسة للعلم . ومكاناً لهذه التقاليد .

على هذه الصورة سار الأزهر مدة حكم الروافض .

---

(١) ج ٢ ص ٣٨٨ خطط المقريزي نقلا عن أبي الريحان البيروني في كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية .

وفي عهد الأيوبيين تغير الحال إذ كانوا سنيين فحاولوا محو كل أثر للدولة البائدة ، وحملوا كافة الناس على التزام مذهب أبي الحسن الأشعري [١] .

فمنع صلاح الدين الأيوبي الخطبة من الجامع — بحجة امتناع اقامة خطبتين في بلد واحد كما هو مذهب الشافعي — [٢] وأقرها بالجامع الحاكمي لأنه أوسع . وقطع عن الأزهر كثيراً مما أوقفه عليه الحاكم ، ومكثت الخطبة معطلة من الجامع الأزهر نحو قرن من الزمان . وأخذ صلاح الدين الأيوبي في عمل شيء لم تعرفه مصر في تاريخها الاسلامي ذلك أنه شرع في بناء المدارس فبنى مدرسة للشافعية بجوار قبر الامام الشافعي من القرافة سماها المدرسة الناصرية فكانت أول مدرسة أنشئت بالديار المصرية وكان ذلك في سنة ٥٦٦ هـ ولما كملت وقف عليها الصاغة . وبعد أيام شرع في بناء مدرسة أخرى للمالكية بجوار جامع عمرو أيضاً سماها المدرسة القمحية ، ووقف عليها قيسارية بمصر وضيعة بالفيوم تعرف بالخيوشية . وكانت تدر القمح على الطلاب فنسبت اليه . وبذلك عرفت مصر نوعاً جديداً من دور العلم ليست لها به عهد من قبل وعلى هذا يعتبر صلاح الدين الأيوبي أول من أحدث إنشاء المدارس بالديار المصرية .

وفي سنة ٥٧٢ هـ أنشئت مدرسة للحنفية في القاهرة اسمها السيوفية ، وهي أول مدرسة وقفت على الحنفية بديار مصر . ثم أخذت تكثر بعد ذلك المدارس حتى أن المقريزي في خططه ترجم لخمس وسبعين مدرسة . وبهذه المناسبة أقول إن البلدان الاسلامية لم تنشأ فيها مدرسة إلا بعد الأربعمائة من سني الهجرة . وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في

---

(١) توفي سنة ٣٢٤ هـ وقيل بضع وثلاثين وثلثمائة . اقتدى برأي زوج أمه — محمد بن عبد الوهاب الجبائي — في الاعتزال عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة ثم رجع فسلك طريقاً بين النفي الذي هو مذهب الاعتزال وبين الاثبات الذي هو مذهب أهل التجسيم . صعد بجامع البصرة يوم الجمعة كرسياً ونادى بأعلى صوته من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا أعرفه بنفسي . أنا فلان بن فلان ، كنت أقول : بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى بالابصار ، وأن أفعال الشر أنا أفعلها وأنا تائب مقلع فمال اليه جماعة وعولوا على رأيه منهم : أبو اسحق الاسفراييني وأبو اسحق الشيرازي . فانتشر المذهب في العراق أولا وانتقل منه الى الشام ، ومن الشام دخل مصر على يد صلاح الدين الايوبي .

(٢) كان صلاح الدين قد قلد وظيفة القضاء لقاضي القضاة صدر الدين عبد الملك بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه ومنع صلاة الجمعة في الازهر

الاسلام أهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية . وبعد أن ذهبت هذه الدولة وجاء عهد المماليك اعتنى الملك الظاهر بيبرس بأمر الأزهر فأعاد اليه خطبة الجمعة في الثامن عشر من ربيع الأول سنة ٦٦٥ هـ وشجع العلم فيه وحذا حذوه كثير من الأمراء فزاد الأمير بيبك الخازندار مقصورة كبيرة رتب فيها جماعة من الفقهاء لقراءة الفقه على مذهب الشافعي . ورتب فيها محدّثاً ، وسبعة لقراءة القرآن ، ووقف على ذلك الأوقاف الدارة .

وفي سنة ٧٦١ هـ أحبّ الأمير الطواشي سعد الدين بشير الجامدار الناصري عند ما سكن بجوار الأزهر أن يؤثر فيه أثراً صالحاً فأنشأ فيه مما أسداه إليه درساً لفقه الحنفية يلقى في المحراب الكبير ، ووقف على هذا الدرس أوقافاً محلية .

على هذا النحو سار الأزهر في عناية المماليك ، غير أنا نلاحظ أن الجامع الحاكمي أخذ ينافس الأزهر بعد أن أصلح من زلزال سنة ٧٠٢ هـ فلقد جاء الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير فأنشأ بالجامع الحاكمي دروساً أربعة لاقراء الفقه على مذاهب الأئمة الأربعة ، ودرساً لاقراء الحديث النبوي ، وجعل لكل درس مدرساً وعدّة كثيرة من الطلبة ، فرتب في تدريس الشافعية قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي ، وفي تدريس الحنفية قاضي القضاة شمس الدين احمد السروجي الحنفي ، وفي تدريس المالكية قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي ، وفي تدريس الحنابلة قاضي القضاة شرف الدين الجواني ، وفي درس الحديث الشيخ سعد الدين مسعود الحارثي ، وفي درس النحو الشيخ أثير الدين أبا حيان ، وفي درس القراءات السبع الشيخ نور الدين الشطنوفي ، وفي التصدير لافادة العلوم علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي ، وفي مشيخة الميعاد والمسجد عيسى بن الخشاب ، وأنشئت به مكتبة جليلة ، وجعل فيه عدّة متصدرين لتلقين القرآن الكريم ، وعدّة قراء يتناولون قراءته ، ومعلماً يقري أيتام المسلمين كتاب الله عزّ وجل . وأوقفت على ذلك الأوقاف الدارة بناحية الجيزة ، والصعيد ، والاسكندرية (١)

وأكبر الظن عندي أن المرسوم الملكي الذي أصدره الملك الظاهر برقوق والذي كان يقضي :

---

(١) خطط المقريزي ج ٤ ص ٥٧

« بأن من مات من مجاوري الأزهر من غير وارث شرعي وترك موجوداً فانه يأخذه المجاورون بالجامع » .

أكبر الظن عندي أن هذا المرسوم كان لتقوية الأزهر بعد أن طغت عليه المدارس والجامع الحاكمي . ولم يكتف الظاهر برقوق باصدار المرسوم بل أمر بنقشه على حجر عند الباب الكبير البحري ليكون بمثابة اعلان دائم .

وهذا المرسوم ظاهرة فذّة في تاريخ الأزهر فلقد جعل الطلبة أسرة واحدة وربط بينهم برباط كرباط النسب .

ونستطيع أن نعرف شيئاً عن نظامه والعلوم التي كانت تدرس فيه وبخاصة أيام المماليك الذين أنقذوه من اضطهاد الايوبيين السنيين ؟ بما يقدمه المقريزي . فلقد قدم لنا صورة لا بأس بها نرى فيها شيئاً عن علومه ونظامه وعدد طلبته وما كان يجري فيه قال :

« وفي سنة ٨١٨ هـ ولي نظر هذا الجامع مع الأمير سودوب القاضي حاجب الحجاب فجرت في أيام نظره عدّة حوادث لم يتفق مثلها وذلك أنه لم يزل في هذا الجامع منذ بني عدّة من الفقراء يلازمون الاقامة فيه وبلغت عدتهم في هذه الأيام ٧٥٠ رجلاً ما بين عجم وزيالفة ومغاربة ومن أهل ريف مصر ولكل طائفة رواق يعرف بهم فلا يزال الجامع عامراً بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم . الفقه والتفسير والحديث والنحو ومجالس الوعظ وحلق الذكر وصار أرباب الأموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة اعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى وكل قليل تحمل اليهم أنواع الاطعمة والخبز والحلاوات لاسيما في المواسم . فأمر هذا الناظر في جمادى الاولى من هذه السنة باخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الاقامة فيه واخراج ما كان لهم فيه من صناديق وخزائن .

في هذه الصورة نرى أن الازهر كان في ذلك الوقت فوق كونه مدرسة لطلب العلم تدرس فيها العلوم المختلفة ومسجداً للعبادة ومكاناً للوعظ كان بجوار ذلك داراً للتصوف .

وتروي دائرة المعارف الاسلامية عن ابن أياس أن ابن الفارض الصوفي كان مقيماً بالازهر .

ويروي رشيد بن غالب صاحب شرح ديوان ابن الفارض أن والد عمر بن الفارض حين

امتنع أن يقبل وظيفة قاضي القضاة ونزل عن حكم القاهرة ومصر بالنيابة عن الخليفة اعتزل الناس وانقطع الى الله تعالى بقاعة الخطابة بالجامع الازهر. ولعلّ ابنه كان يقيم معه بعد ان كان يعود من سياحته في جبل المقطم. وعلى كلٍ فقد كانت المساجد والمدارس في ذلك الوقت مفتوحة للرياضة الروحية بجوار درس العلم. وكانت المدارس والمساجد تقبل طلاّب التصوف كما كانت تقبل طلاّب العلم، وتفتح صدرها لهؤلاء كما تفتح صدرها لأولئك. فمثلاً البدر العيني صاحب عمدة القاري شرح صحيح البخاري حينما حضر الى القاهرة مع شيخه العلامة السيرامي سنة ٧٨٨ هـ جعله الظاهر برقوق في عداد صوفية البرقوقية.

ونرى الأمير الكبير سيف الدين شيخو الناصري لما أنشأ مسجده جعل فيه عشرين صوفيًّا وأقام الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود الرومي الحنفي شيخاً لهم. ثم لما عمر الخانقاه تجاه الجامع نقل الأكمل والصوفية اليها وزاد عدّتهم.

ويحدّثنا صاحب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: أن الشيخ احمد بن عيسى ابن غلاّب المنعوت بشهاب الدين الكابي المالكي شيخ المحيّا النبوي بالأزهر أخذ التصوف عن الشيخ الشعراني وجلس بالمحيّا الشريف بعد والده، ووالده جلس بعد الشيخ البلقيني وهو جلس بعد الشيخ صالح، وهو جلس بعد الشيخ نور الدين الشوني المدفون بزاوية الشيخ عبد الوهاب الشعراني.

بناءً على كل هذا نستطيع أن نقول إن دور العلم ومنها الازهر في ذلك الوقت كانت تعرف لوناً من التعليم لا يتصل بقاعدة منطقية أو نكتة بلاغية، وإنما يتصل بمسألة روحية الغرض منها تطهير النفس وتصفيتها مما علق بها من أوزار الجسد حتى صار الأزهر بعلومه ورياضته الروحية قبلة المسلمين في جميع بقاع الارض حتى فاق المساجد والمدارس الأخرى في مصر وغير مصر، بقي أن نتساءل:

لِمَ تسابق أهل الخير في حبس الأموال على الأزهر والاحسان إليه وفي مصر مساجد كثيرة منها ما هو أقدم من الأزهر، ومنها ما هو أوسع منه؟ ولِمَ تزعم الأزهر هذه المدارس وهذه المساجد؟. إن الأزهر بحكم الظروف التي أحاطت به من يوم أن أنشىء أخذ صبغة دينية لم تكن لغيره من المساجد والمدارس فلقد أوجد لمذهب ديني هو مذهب الرافضة واضطهده

بعد ذلك رجال مذهب ديني هم الأيوبيون السنيون. ثم جاء المماليك فرفعوا عنه ما حلّ به من ظلم الايوبيين فخرج من هذا الصراع العنيف بشهرة يضاف إليها أن كان محلاً لاهل الطرق الصوفية يحيون به مجالس الذكر بجوار دروسه العلمية وإيوائه الفقراء والمعوزين. لكل هذا أخذ صبغة دينية قوية تقرّب اليها المتقرّبون لمحض الخير أو السياسة. فلخيرات الأزهر ولشهرة مصر في العلوم والفنون وبخاصة بعد أن سقطت بغداد على يد التتار وهاجر إليها كثير من علماء بغداد بقي الأزهر في شهرة عالمية ومكانة خاصة في العالم الاسلامي. ونظرة عامة لمن يؤمه من مختلف البلدان تعطينا فكرة عن مقدار هذه المكانة ومبلغ الاقبال عليه، ولننظر إليهم فيما كان لهم من أروقة يقيمون فيها، في الأزهر ستة وعشرون رواقاً وهم :

١ — رواق الصعايدة : وهو أشهر أروقة الأزهر من إنشاء الأمير عبد الرحمن كتخدا .

٢ — رواق الحرمين : مكة والمدينة: وهو رواق صغير بداخل باب المقصورة الجديدة .

٣ — الدكارنة : خاص بأهل التكرور وسنار ودارفور وغيرها .

٤ — الشوام : عن يمين الداخل من باب الشوام . يقال إنه من إنشاء السلطان قايتباي، ثم زاد فيه الأمير عثمان كتخدا، ثم الأمير عبد الرحمن كتخدا .

٥ — الجاوة : بين رواق السليمانية ورواق الشوام وهو لاهل جاوة وغيرهم من أهل جزر الهند الشرقية .

٦ — السليمانية : بين باب الشوام ورواق الجاوة وهو لأهل أفغانستان وخراسان .

٧ — المغاربة : بالجانب الغربي من صحن الجامع على يمين الداخل من باب المغاربة مكتوب على بابه « أمر بتجديده مولانا وسيدنا السلطان الملك الاشرف قايتباي على يد الخواجا مصطفى بن الخواجا محمود غفر الله لهما » . وهو رواق كبير هام .

٨ — السنارية : عن يمين الداخل من باب المغاربة . أنشأه المغفور له محمد علي باشا .

٩ — الأتراك : عن يسرة الداخل من باب المغاربة .

١٠ — البرنية : لاهل برنيو وما جاورها . بين رواق الأتراك ورواق اليمنية .

١١ — الجبرتية : لأهل سواحل الصومال . في داخل رواق البرنية .

١٢ — اليمن : لاهل جنوبي بلاد العرب . بجوار رواق البرنية .

١٣ — الأكراد : عن يمين الداخل من باب المزينين.
١٤ — الهنود : عن يمين الداخل من باب المزينين .
١٥ — البغدادية : بأعلى رواق الهنود وهو للبغداديين من أهل العراق .
١٦ — البحاروة : عن شمال الداخل من باب المزينين بابه الى الصحن
١٧ — الفيومية : بين رواق البحاروة ورواق الشنوانية في الزاوية الشرقية من الصحن
١٨ — الاقبغاوية : بمدرسة الاقبغاوية وله باب على رواق الفيومية .
١٩ — الشنوانية : يعرف أيضاً برواق الأجاهرة ورواق الواطية وهو بجوار رواق الفيومية . لاهل الاجاهرة الواطية من جنوب الدلتا .
٢٠ — الحنفية : خلف رواق الفشنية والشنوانية والفيومية بين مرافق الميضأة الكبرى وبابه الى الصحن . هذا الرواق أراد عباس باشا الأول أن يبنيه لأهل بلدة الشيخ الباجوري ثم مات ولم يتمه فأكمله راتب باشا الكبير .
٢١ — الفشنية : بين باب رواق الحنفية وباب الميضأة وبابه الى الصحن .
٢٢ — ابن معمر : عن يمين الداخل الى الميضأة وهو رواق عام لجميع الأجناس .
٢٣ — البرابرة : عن شمال الداخل من باب المقصورة الشرقي وهو عبارة عن خزن ودواليب.
٢٤ — دكارنة صليح : لأهل اقليم بحيرة شاد وهو بجوار رواق الشراقوة وهو أيضاً مجرد خزن ودواليب .
٢٥ — الشراقوة : في النهاية البحرية من المقصورة القديمة ويسكنه فقراء الشرقية أنشأه الأمير ابراهيم بك الوالي تخليداً لذكرى الشيخ عبد الله الشرقاوي .
٢٦ — الحنابلة : بجوار زاوية العميان أنشأه عثمان كتخدا منشىء زاوية العميان (١)

وإذا كان في هذا ما يدلنا على شهرة الأزهر ومكانته في العالم الاسلامي فما يدلنا أيضاً على قداسته في هذا العالم أن كان يطلب إلى شيوخه من السلاطين أن يقرأوا لهم صحيح البخاري ويدعوا لهم بالنصر .

قال علي مبارك باشا في خططه وفي رجب سنة ١٢٠٢ هـ حضر إلى مينا بولاق أغا أسود وعلى يده مقرر لعبدي باشا وخلعة لشريف مكة وصحبته ألف قرش رومي أرسلها حضرة السلطان تفرّق على طلبة العلم بالأزهر ويقرأون له صحيح البخاري ويدعون له بالنصر .

(١) خطط مصر الجديدة لعلي مبارك باشا ج ٤ ص ٣٠ وما بعدها ودائرة المعارف الاسلامية العدد الاول من المجلد الثاني ص ٥٦

انتاج الازهر

الأزهر فكرة نبتت في الأصل لخدمة مذهب معين ، ولذلك كان مع الزمن ميداناً لصراع مذهبي عنيف بين المؤيدين والمعارضين من ناحية ، وبين دولة تبيد وأخرى تنهض من ناحية أخرى . ومن حسن حظ الأزهر أن كان هذا الصراع فانه قد خدمه ووطد أركانه وربَّ ضارة نافعة . خدمه حتى أضحى يحمل علم الدراسات الاسلامية وما يتصل بها من قرب أو من بعد ، وبخاصة بعد أن سقطت بغداد على أيدي التتار . سار الأزهر في هذا التاريخ الطويل العريض ككل كائن حي ينهض آناً ويتغير آناً آخر . ولكن الذي لا ينكر والذي هو واضح وضوح الشمس في رابعة النهار أن الأزهر في هذا التاريخ الطويل قد خدم الاسلام والمسلمين في دينهم ولغتهم خدمات جليلة ، بل لقد خدم العالم أجمع بضرب الأمثال في الاخلاص للحق ، وكانت الرياضة الروحية من خصائصه المميزة له .

عرفت مصر في ظل الأزهر نخبة ممتازة من أعلام الفكر ، وأئمة الدين ، وكبار المصلحين . فكنت ترى فيهم الأصولي الثبت ، والفقيه الورع ، والمحدّث الحافظ ، والمفسّر البارع ، والأديب الظريف ، والعابد الزاهد ، والمرشد المخلص ، والكريم الجوّاد . بل كثيراً ما كنت ترى كل هذه الصفات مجتمعة في واحد من أولئكم العلماء الأعلام الذين تفخر بهم مصر . ويفخر بهم الازهر .

وإن الانسان ليملكه العجب حقًّا ، وتأخذه الدهشة حين يرى إنتاج هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين أثروا في الأزهر وتأثروا به . خذ لذلك مثلاً : هذا تقي الدين القشيري القوصي الشهير بابن دقيق العيد «توفي سنة ٧٠٢ هـ» قاضي قضاة الشافعية ، اتفق ابن السبكي في طبقات الشافعية ، والسيوطي في حسن المحاضرة ، وابن العماد في شذرات الذهب اتفقوا على هذه الكلمة في شأنه : لم نر أحداً من أشياخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس المائة السابعة . وكان القشيري هذا عالماً في المذهبين مذهب مالك والشافعي ،

وله فيهما تآليف . فله شرح مختصر ابن الحاجب في فقه المالكية . وله شرح على مختصر التبريزي في فقه الشافعية . وله في الحديث : كتاب الالمام في أحاديث الأحكام . ولقد شرح هذا الكتاب غير أن الشرح لم يكمل . ويقول ابن العماد في كتابه شذرات الذهب إن شرح كتاب الألمام هذا سماه القشيري « الامام » . أما ابن السبكي في طبقات الشافعية فيعد كتاب « الأمام » كتاباً آخر غير شرح الألمام . ومما يستوقف النظر أن كل المصادر التي رأيتها تتفق على ان كتاب الألمام هذا في الحديث . وينفرد الزركشي في كتابه البحر المحيط بأن كتاب الالمام هذا في أصول الفقه . ولقد بحثت عن هذا الكتاب فلم أعثر عليه .

وله في الحديث أيضاً شرح على كتاب العمدة لعبد الغني المقدسي . ويقول السيوطي : إن أول إمام حنبلي علمت حلوله بمصر هو عبد الغني المقدسي هذا صاحب العمدة . وله شرح على العنوان في أصول الفقه .

وله في أصول الدين وعلوم الحديث كتاب « الاقتراح » ، وابن ثعلب الأدفوي صاحب كتاب الطالع السعيد يعد له أيضاً كتاب « اقتناص السوانح » ويصفه بأنه أتى فيه بأشياء غريبة ، ومباحث عجيبة ، وفوائد كثيرة . وله ديوان خطب . وكان مع كل هذا شاعراً مفلقاً ، وناثراً مجيداً . وهو القائل :

قد جرحتنا يد أيامنا وليس غير الله من آسي
فلا ترجو الناس في حاجةٍ ليسوا بأهل لسوى الياس
ولا تقس بالعقل أفعالهم ما مذهب القوم بمنقاس
فاهرب من الخلق الى ربهم لا خير في الخلطة بالناس

وكان ابن دقيق العيد هذا معاصراً لأبي العباس المرسي الصوفي المشهور بالاسكندرية وله معه مواقف جميلة . قال له مرّة — أي لأبي العباس وكان رأساً في الصوفية — « أنتم إذا رقيتم على أحد تزندقتم [1] . ونحن إذا لم نرق على الناس تزندقنا »

وكان يعطف على الطلاّب ويساعدهم حتى ماديًّا . ويقول : « ضابط ما يطلب مني أن يجوز شرعاً ثم لا أبخل »

---

(١) أي أتيتم بأعمال تخالف ظاهر الشرع

ومن أساتذته عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء وتلميذه القشيري هذا هو الذي لقبه بهذا اللقب . وعز الدين هـذا كما كان مثلاً في العلم كان مثلاً في الشجاعة وهو أصدق مرآة نرى فيها أخلاق العلماء .

يقول ابن السبكي في طبقاته « إنه وقف في وجه القائم بأمر مصر وقتئذٍ لما أراد أن يفرض ضريبة على التجار قائلاً : « إذا أحضرت ما عندك وعند حريمك من الحلي وأحضر الأمراء ما عندهم من الحلي الحرام وضربته سكة ونقداً وفرّقته ولم يقم بالكفاية لك أن تطلب القرض ، وأما قبل ذلك فلا »

ويقول عنه أيضاً انه لما توفى عز الدين بن عبد السلام سنة ٦٦٠هـ ومرّت جنازته تحت القلعة ، وشاهد الظاهر بيبرس كثرة الخلق الذين معها قال لبعض خواصـه : « اليوم استقرّ أمري في الملك لأن هذا الشيخ لو كان أمر الناس فيّ بما أراد لبادروا الى امتثال أمره » .

وكان عز الدين هذا خطيباً لجامع عمرو ولهذه المناسبة أقول : إن المقريزي هذا المؤرخ العظيم كان هو الآخر خطيباً لجامع الحاكم فانظر كيف انقلبت القيم .

ومن علماء مصر الأفاضل الذين أثروا في الأزهر وتأثروا به ذلك العالم البـارع الطويل الباع في أصول الفقه وفروعه وفي العربية وغيرها الفقيه المالـكي ابن الحاجب — كان أبوه حاجباً عند الأمير عز الدين موسك الصلاحي — صنف في الأصول المختصرة والمنتهى . وفي فقـه المالكية المختصر . وله في النحو الـكافية ، والوافية ، وفي التصريف الشافية وشرح الـكل . وله شرح المفصل ، والأمالي النحوية ، وقصيـدة في العروض . ومن أساتذته في القراءات الشاطبي وتوفي بالاسكندرية «سنة ٦٤٦» هـ . وأذكر أنه مدفون بجوار أبي العباس المرسي . ومنهم إمام النحو واللغة ابن هشام الذي قال عنه ابن خلدون « ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أنحى من سيبويه » . ومن أكابر أساتذة العلم المنتجين الذين عرفتهم مصر ذلك الثبت الثقـة ، الصدوق النبيل ، الحـافظ للحديث ، الحجة فيه ، أستاذ الحديث في المؤيد ، البدر العيني صاحب عمدة القاري شرح صحيح البخاري . ويقولون إنه داوم على إقراء الحديث فيـه وحده ما يقرب من أربعين سنة خلا ما له من الدروس في بقيـة مدارس القاهرة ، وتناوب وظيفة حسبة القاهرة هو والمقريزي مدة .

وولاه الملك المؤيد « نظر الأحباس » وهـذه توازي وزارة الأوقاف في عصرنا . وكان معاصراً للحافظ بن حجر صاحب كتاب فتح الباري شرح صحيح البخـاري « وكان ابن حجر هذا أصغر من العيني باثني عشرة سنة . ويروي المقريزي أنه كان بينهما من المنافسة ما يكون بين المتعاصرين. فلما فوض إلى العيني تدريس الحديث بالمؤيدية صادف أن مالت مئذنة الجامع المؤيدي على البرج الشمالي وكادت تسقط فهدمت وبنيت من جديد . فقال الحافظ بن حجر في ذلك .

لجامع مولانا المؤيد رونق منارته بالحسن تزهو وبالزين
تقول وقد مالت عليهم تمهلوا فليس على حسني أضرّ من العيني

فتحدَّث الناس أنه قصد التورية بالعيني .

ويروي المقريزي أن العيني ردّ عليـه بهذين البيتين وهما من نظمه وغيره يقول إنهما لبدر الدين العنتابي .

منارة كعروس الحسن إذ جليت وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط ما آفة الهدم إلاَّ خسَّة الحجر

وللعيني مؤلفات كثيرة أجلها عمدة القاري هذا الذي تقدم ذكره . ويقولون إنه ابتدأ فيه سنة ٨٢١ وأتمه سنة ٨٤٧ هـ بعد فراغ ابن حجر من شرحه فتح الباري بخمس سنوات. وله أيضاً « نخب الأفـكار في تنقيح مباني الأخبار » في شرح معاني الآثار للامام أبي جعفر الطحاوي في عشر مجلدات . وله «مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار » في مجلدين . ومنها « البناية في شرح الهداية » للامام المرغيناني في عشر مجلدات . ومنها « الدرر الزاهرة في شرح البحار الزاخرة » لشيخه الرهاوي في المذاهب الأربعة في مجلدين . ومنها عقد الجمان في تاريخ الزمان» في خمس وعشرين مجلداً . وعد مؤلفاته أمرٌ يطول. فليرجع اليها في مقدمة كتابه عمدة القارىء .

ومن رجالات مصر أعيان العلمـاء جلال الدين السيوطي وقد ترجم لنفسه في كتابه حسن المحاضرة. وأذكر باختصار هذه الترجمة فسنرى فيها شيئاً كثيراً عن نظام البحث والدرس

والاشراف العلمي على الطلبة وأنواع العلوم التي كانت تدرس في ذلك الوقت، ورأيهم في بعض العلوم . وأخيراً تلك الصلة الروحية القوية بين الطالب والاستاذ.

قال : كان مولدي بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة ٨٤٩هـ وحملت في حياة أبي الى الشيخ محمد المجذوب رجل كان من كبار الاولياء بجوار المشهد النفيسي . ونشأت يتيماً فحفظت القرآن ولي دون ثمان سنين . ثم حفظت العمدة . ومنهاج الفقه ، والاصول وألفية ابن مالك . وشرعت في الاشتغال بالعلم في مستهل سنة ٦٤ هـ . وأجزت بتدريس العربية في مستهل سنة ٦٦ هـ وقد ألفت في هذه السنة فكان أول شيء ألفته شرح الاستعاذة والبسملة. وأوقفت عليه شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقيني فكتب عليه تقريظاً ولازمته في الفقه إلى أن مات . فلازمت ولده فقرأت عليه وأجازني بالتدريس والافتاء من سنة ٧٦ هـ . وحضر تصديري فلما توفى سنة ٧٨ هـ لزمت شيخ الاسلام شرف الدين المناوي فقرأت عليه قطعة من المنهاج .

ولزمت في الحديث والعربية شيخنا الامام العلامة تقي الدين الشبلي الحنفي فواظبته أربع سنين، وكتب لي تقريظاً على شرح ألفية ابن مالك ، وعلى جمع الجوامع في العربية تأليفي . وشهد لي غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه وبنانه ولم أنفك عن الشيخ الى أن مات . ولزمت شيخنا العلامة محي الدين الكافيجي أربع عشرة سنة فأخذت عليه الفنون من التفسير والاصول والعربية والمعاني وغير ذلك وكتب لي إجازة عظيمة . . .

وشرعت في التأليف سنة ٨٦٦ هـ . وبلغت مؤلفاتي الى الآن ٣٠٠ كتاب سوى ما رجعت عنه . وهنا يخبرنا أنه لما حجَّ شرب من ماء زمزم لأمور منها : أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني ، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ بن حجر . ويقول أفتيت من مستهل سنة ٧١ هـ . . .

ورزقت التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع ... ودون هذه السبعة في المعرفة أصول الفقه ، والجدل ، والتصريف . ودونها الانشاء والتوسل ، والفرائض . ودونها القراءات ولم آخذها عن شيخ . ودونها الطب . وأما علم الحساب فهو أعسر شيء عليَّ وأبعده من ذهني وإذا نظرت في مسألة تتعلق

به فكأنما أحاول جبلاً أحمله . . . وقد كنت في بداية الطلب قرأت شيئاً في علم المنطق ثم ألقى الله كراهته في قلبي .

وسمعت أن ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك . وأما مشايخي في الرواية سماعاً وإجازة فكثير أوردتهم في المعجم الذي جمعتهم فيه وعدّتهم نحو ١٥٠ شيخاً . ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالي بما هو أهم وهو قراءة الدراية . وهنا ذكر أسماء مصنفاته فعدّ في « التفسير وتعلقاته ، والقراءة » ٢٢ كتاباً منها : الاتقان في علوم القرآن ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ولباب المنقول في أسباب النزول ، ومفحمات الاقران في مبهمات القرآن ، والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب . والكلام على أول الفتح وهو تصدير ألقاه لما باشر التدريس بجامع شيخون بحضرة شيخه البلقيني .

وهذا التصدير قد عثر عليه مخطوطاً فضيلة مولانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر الشيخ مصطفى عبد الرازق في دار الكتب الازهرية تحت رقم ٢٠٤ وورد في هذه المجموعة التي تحتوي على هذا التصدير أنها بخط المؤلف . وكان هذا التصدير موضوع الدرس الذي ألقاه فضيلته أمام حضرتي صاحبي الجلالة مولانا الملك فاروق الأول وجلالة الملك عبد العزيز آل سعود قبل صلاة الجمعة بالأزهر الشريف يوم ١١ يناير سنة ١٩٤٦ .

وهنا ننشر هذا التصدير فانه على صغر حجمه كما قال عنه فضيلة مولانا الأستاذ الأكبر « يفيد الباحثين في تطور الدراسات الاسلامية وأساليبها . وفي الطرق التي كانت تعتمد عليها مدارس المسلمين في إجازة طلابها وتخريجهم .

تصدير السيوطي (*)

وهذا هو نص التصدير الذي ألقاه الجلال السيوطي مذيلاً بتعليقات حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر :

تصدير مبارك ألقيته يوم أُجلِستُ للتدريس بجامع شيخو رحمه الله ، بحضرة شيخنا قاضي القضاة شيخ الاسلام علم الدين البُلقيني (١) وجماعة من القضاة والأفاضل وذلك يوم الثلاثاء تاسع ذي القعدة سنة ٨٦٧هـ ، (٢) وقد مضى من عمري ثمان عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية أيام (٣) .

الحمد لله طالعت على هذا التصدير الكشاف (٤) وتفسير الامام الرازي (٥) وتفسير الامام ابن العربي (٦) والبحر لأبي حيان (٧) وأسباب النزول للواحدي (٨) وتفسير

(*) عن المخطوط رقم ٢٠٤ فن المجاميع بدار الكتب الازهرية ، والتصدير يقع في ثمانية وعشرين سطراً من ظهر الورقة السابقة للاخيرة ، وأربعة وعشرين سطراً في وجه الورقة الاخيرة ، وهذا المخطوط يحتوي على مؤلفات أخرى للسيوطي ، وقد كتب عليه أنه بخط الجلال السيوطي نفسه .

(١) هو الامام علم الدين صالح بن شيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقيني ، ولد سنة ٧٩١ هـ . تولى مشيخة الخشابية بجامع عمرو بن العاص ، وهي المشهورة بزاوية الامام الشافعي ، وتولى القضاء الاكبر في سنة ٨٢٦ هـ ألف تفسير القرآن ، قرأ السيوطي عليه الفقه وأجازه بالتدريس ، توفي في الخامس من رجب سنة ٨٦٨ هـ . (٢) يوافق ٢٧ يوليه سنة ١٤٦٣ .

(٣) لان السيوطي ولد بالقاهرة ليلة مستهل رجب سنة ٨٤٩هـ الموافق ٣ اكتوبر سنة ١٤٤٥ .

(٤) هو التفسير القيم الذي ألفه الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد المتوفى بجرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ .

(٥) المقصود هو التفسير الكبير المسمى « مفاتيح الغيب » . والامام الرازي هو فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي المتكلم الاشعري المشهور ، ويعرف أيضاً بابن الخطيب ، وهو شافعي في الفقه ، ولد سنة ٥٤٤ وقيل سنة ٥٤٣ وتوفي يوم عيد الفطر سنة ٦٠٦ هـ ولم يتم تفسيره فأتمه غيره بعد وفاته .

(٦) هو الشيخ محيي الدين محمد بن علي الطائي الاندلسي الصوفي المعروف بالشيخ الاكبر المتوفى سنة ٦٣٨ وله تفسير كبير على طريقة أهل التصوف اختصره في ثمانية أسفار .

(٧) البحر المحيط في تفسير القرآن لابي حيان محمد بن يوسف الغرناطي الجياني أثير الدين . ولد في آخر شوال سنة ٦٥٤ هـ وسمع بالاندلس وأفريقية والاسكندرية ومصر والحجاز ، وهو شافعي يميل الى الظاهر ، توفي في ٢٨ صفر سنة ٧٤٥ هـ .

(٨) هو أسباب نزول القرآن لابي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفي سنة ٤٦٨ هـ في جمادى الآخرة وكان استاذ عصره في النحو والتفسير ..

السجاوندي [١] وينبوع الحياة لابن ظفر [٢] وصحاح الجوهري [٣].

والخطبة الى آخر الصلاة من كلام الامام الشافعي رضي الله عنه [٤].

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، والحمد لله الذي لا يؤدَّى شكرُ نعمة من نعمه إلاَّ بنعمة منه توجب على مؤدَّى ماضي نعمه بأدائها نعمةً حادثة يجب عليه شكره بها، ولا يبلغ الواصفون كنه عظمته، الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه. أحمده حمداً كما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله، وأستعينه استعانة من لا حول له ولا قوة إلاَّ به. وأستهديه بهداه الذي لا يضل من أنعم به عليه. وأستغفره لما أزلفتُ وأخرت استغفار من يقرّ بعبوديته ويعلم أنه لا يغفر ذنبه ولا ينجيه منه إلاَّ هو. وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله[٥]. صلى الله عليه وعلى آله كما صلى على ابراهيم وآل ابراهيم إنه حميد مجيد، ورضي الله عن السادة الصحابة أجمعين، وعن إمامنا الامام الشافعي المطلبي وسائر الأئمة، وعن سيدنا ومولانا شيخ الاسلام ووالده شيخ الاسلام وسائر مشايخنا والسادة الحاضرين وجميع المسلمين [٦].

أما بعد — فقد قال الله تعالى « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، ليغفرَ لك الله ما تقدَّم من ذنبكَ وما تأخر، ويتمَّ نعمته عليك، ويهديَك صراطاً مستقيماً، وينصركَ الله نصراً عزيزاً » [٧].

الكلام على هذه الآية من جهات: الأولى سبب النزول ومكانه وزمنه. الثانية علم اللغة. الثالثة علم الإعراب. الرابعة علم المعاني. الخامسة علم التفسير [٨].

---

(١) هو محمد بن طيفور أبو عبد الله السجاوندي الغزنوي، توفى فى حدود سنة ٥٦٠ هـ

(٢) هو حجة الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر المكي، توفى بحماه سنة ٥٦٥ هـ.

(٣) « الصحاح فى اللغة » للجوهري وهو أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي من أئمة اللغة توفى بنيسابور فى حدود سنة ٤٠٠ هـ.

(٤) خطبة « الرسالة » للامام الشافعي، ص ٧ — ٨ من تحرير الشيخ احمد محمد شاكر

(٥) الى هنا ينتهي كلام الشافعي فى خطبة « الرسالة »

(٦) هنا جاء فى الأصل: قوله سيدنا ومولانا، أقول هو شيخنا علم الدين البلقيني ابن الشيخ سراج الدين

(٧) سورة ٤٨ مدنية نزلت فى الطريق عند الانصراف من الحديبية، الآيات ١ — ٣

(٨) هنا جاء فى الاصل « الكلام على هذه الآية من جهات: الأولى سبب النزول الثانية الى آخره »

أقول: قدّمت أولاً الكلام على النزول وما يتعلق به، ومناسبةُ تقديمه ظاهرة، وثنّيت باللغة وقدّمتها على الاعراب، لأنها تبين المعنى، والاعراب فرعه ومتوقف على معرفته، وثلثت بالاعراب وقدمته على المعاني الذي هو ثمرة الاعراب، ثم تلاه المعاني، ولما انتهيت من الأدوات ذكرت المقصود بالذات من الآية وهو التفسير وبيان المراد، ثم ختمت بالنهاية وهو علم التصوف. وهذا ترتيب حسن لطيف.

***

أما سبب النزول وما يتعلق به فقال الامام أبو الحسن الواحدي رحمه الله: روي عن ابن عباس انه لما نزل قوله تعالى: « وما أدري ما يفعل بي ولا بكم »[1]، قال المشركون: كيف ندخل في دينك وأنت لا تدري ما يُفعل بك وبمن اتبعك؟ فنزل قوله تعالى: إنا فتحنا لك إلى آخره. قوله روي عن ابن عباس الخ أقول قوله ابن عباس هذا حكمه حكم المرفوع. وروي أنه لما نزل: ليغفر لك الله، قال له أصحابه: هنيئاً لك يا رسول الله الجنة لك! فما لنا؟ فنزل: ليُدخل المؤمنين والمؤمنات جنات الى آخره[2]، ولما نزل: ويتم نعمته عليك، قالوا كذلك فنزل: « اليوم أكملت لكم دينكم »[3]، ولما نزل: وينصرك الله نصراً عزيزاً، قالوا كذلك فنزل: « وكان حقّا علينا نصرُ المؤمنين »[4].

وروي أن قوله تعالى: إنا فتحنا لك إلى آخره نزل بين مكة والمدينة في شأن الحديبية. قال أنس[5]، رضي الله تعالى عنه: لما رجعنا من الحديبية وقد حيل بيننا وبين نُسُكنا ونحن بالحزن والبكاء، أنزل الله تعالى: إنا فتحنا لك إلى آخره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أنزل عليَّ آية هي أحب إليَّ من الدنيا وما فيها. وفي رواية: مما طلعت

(١) سورة ٤٦ آية ٩ (مكية).
(٢) سورة ٤٨ آية ٥ (مدنية).
(٣) سورة ٥ آية ٣ (نزلت بعرفات فى حجة الوداع).
(٤) سورة ٣٠ آية ٤٧ (مكية).
(٥) الامام أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر الانصاري المدني. لازم رسول الله منذ هاجر الى أن مات وكان آخر الصحابة موتاً. واختلف فى سنة وفاته، فقيل: سنة ٩٠ هـ، وقيل: سنة ٩١ هـ، وقيل: سنة ٩٢ هـ، وقيل: سنة ٩٣ هـ.

عليه الشمس . وفي الصحيح انه نزل ليلاً [١] .

وأما ما يتعلق بالآية من جهة اللغة، فقال الامام أبو النصر الجوهري في صحاحه : الفتح يطلق على النصر وعلى الحكم ، ومنه : « افتح بيننا وبين قومنا بالحق [٢] » ، وعلى الماء يجري من عين أو غيرها . والمبين من أبان الشيء إذا أوضحه ، ومنه بان أي اتضح ، واستبان أي ظهر ، واستبنته أي عرفته ، والتبيين الايضاح والوضوح أيضاً . والبيان الفصاحة وما به يتبين الشيء من دلالة وغيرها . ومبين أيضاً اسم ماء ، قال الشاعر يا رِيَّها اليوم على مبين ، أي ياريّ ناقتي على هذا الماء . والمغفرة من الغفر وهو الستر والتغطية ، ومنه غفرت المتاع جعلته في الوعاء . والمِغفر زَرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ، ويقال من هذه المادة : استغفر الله لذنبه ومن ذنبه وذنبَه ، والفعل غفر يغفر، وجاء في لغة غفِر يغفر ، والمصدر مغفرة وغفراناً وغفراً ، وجاء في لغة غفَراً . والذنب الجرم ، والفعل منه أذنب . والنعمة اليد والصنيعة ، وكذلك النعمى والنعماء والنعيم . ويقال : فلان واسع النعمة أي واسع المال . والهدى يطلق على أمور : أحدها خلق الاهتداء ، ومنه : « انك لا تهدي من أحببت » [٣] : الثاني الدلالة بلطف ، ومنه : « وإنك لتَهدي الى صراط مستقيم » [٤] : الثالث التقدم ، ومنه هوادي الخيل لتقدمها . الرابع التبيين ، ومنه : وأما ثمود فهديناهم » ، كذا قيل ، ويظهر لي أن هذا متحد مع الثاني . الخامس الالهام ، ومنه : « أعطى كلَّ شيء خَلْقَه ثم هدى » [٥] أي ألهم لمصالحه . السادس الدعاء ، ومنه : « ولكل قوم هاد [٦] » ، أي داعٍ . والصراط هو الطريق الواضح ، والصاد لغة قريش ، وعامة العرب يجعلونها سيناً ، وكعب يجعلونها زاياً ، وأهل الحجاز يؤنثونه كالطريق والسبيل والزقاق والسوق، وبنو تميم يذكّرون هذا كله . وجمعه صُرُط ككتاب وكتب ، والمستقيم

---

(١) الحديث على هذا النحو أقرب الى رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ونصه كما جاء في صحيح البخاري : « لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » . وفي غيره من كتب الحديث: « نزل علي البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها » . وأما على نحو ما رواه أنس فالاغلب هو : « لقد أنزلت علي الليلة آية أحب إلي مما على الارض » .

(٢) سورة ٧ آية ٨٩ (مكية) .

(٣) سورة ٢٨ آية ٥٦ (مكية) .

(٤) سورة ٤٢ آية ٥٢ (مكية) .

(٥) سورة ٢٠ آية ٥٠ (مكية) .

(٦) سورة ١٣ آية ٧ (مدنية) .

ضد المعوج . والنصر مصدر نصره على عدوه ينصره والاسم منه النُّصْرة . ويقال نصر الغيث الأرض أي غاثها . ونصرت الأرض أي مطرت . والعزيز هو الغالب ، ويطلق على المحتاج إليه القليل الوجود .

وأما ما يتعلق بها من جهة الإعراب فقوله : ليغفر الله لك . اختلف في اللام هنا ، فقال صاحب « الكشاف » رحمه الله : للتعليل . قال : فان قلت : كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة ؟ قلت : لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدّد من الأمور الأربعة وهي المغفرة وإتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز . وأجاب بجواب آخر وهو أنه يجوز أن يكون فتح مكة ، من حيث إنه جهاد للعدو ، سبباً للغفران والثواب ، قوله : وأجاب الخ ، أقول: هذا الجواب على تسليم أنه جعل مكة[1] للمغفرة . وأجاب الامام فخر الدين [2] بجوابين غير هذين . وقيل اللام هنا للعاقبة ، والمراد أن الله فتح لك لكي يجعل لك علامة لغفرانه لك ، وقيل هي لام القسم وكسرت لحذف النون من الفعل لشبهها بلام كي ، ورد هذا الوجه بأن لام القسم لا تكسر وينصب بها ، ولو جاز هذا لجاز لِيقومَ زيد في معنى ليقومنَّ زيد . قال أبو حيان في « البحر » مجيباً عن هذا الرد : أما الكسر فقد علل بأنه لشبهه بلام كي ، وأما النصب فله أن يقول ليس هذا نصباً لكنها الحركة التي تكون مع وجود النون بقيت بعد حذفها دلالة على الحذف . قال : وبعد ، فهذا القول ليس بشيء ، إذ لا يحفظ من كلامهم والله لِنقوم ولا بالله ليخرج زيد بكسر اللام وحذف النون وبقاء الفعل مفتوحاً .

وأما ما يتعلق بها من جهة المعاني ، ففي قوله : « إنّا فتحنا » ، وقوله : « ليغفر لك الله » التفات من التكلم الى الغيبة ، ونكتته أنه لما كان الغفران وإتمام النعمة والهداية والنصر يشترك في اطلاقها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وغيره بقوله : « ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء [3] » ، وقوله : « يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم [4] » ، وقوله :

---

(١) هكذا في الاصل ولعل الصواب « جعل فتح مكة » .

(٢) المقصود فخر الدين محمد بن عمر الرازي صاحب التفسير الكبير المسمى « مفاتيح الغيب » .

(٣) سورة ٤ آية ٤٨ (مدنية) (٤) سورة ٢ آية ٤٠ و ٤٧ و ١٢٢ (وهي جميعاً مدنية)

« يهدي من يشاء [١] » ، وقوله : « إنهم لهم المنصورون [٢] » ، ولم يكن الفتح لأحد إلاّ للرسول ، أسنده تعالى الى نون العظمة تفخيماً لشأنه ، وأسند تلك الأشياء الأربعة الى الظاهر واشتركت الخمسة في الخطاب له ، صلى الله عليه وسلم ، تأنيساً له وتعظيماً لشأنه ، ولم يؤت بالاسم الظاهر ، لأن في الإقبال على المخاطب ما لا يكون في الاسم الظاهر . وفي قوله : « نصراً عزيزاً » ، إسناد العزة الى النصر وهو مجاز ، فالعزيز حقيقة هو المنصور ، صلى الله عليه وسلم ، وقيل فيه مجاز الحذف ، والتقدير « عزيزاً صاحبه » . وأعيد لفظ الله في : « وينصرك الله » لمّا بعد عما عطف عليه وليكون المبدأ مسنداً الى الاسم الظاهر والمنتهي كذلك . قوله : التفات الخ ، أقول : لم يذكر ذلك في « الكشاف » وأشار اليه أبو حيان في « البحر » تلويحاً لا تصريحاً ، قوله : وقيل فيه مجاز الحذف ، أقول : هذا من تعبيري وتصريفي .

وأما ما يتعلق بها من جهة التفسير ، قوله « إنّا فتحنا » في المراد بالفتح هنا أقوال : أحدها فتح مكة واختاره الفخر [٣] الرازي من الجميع وأبو حيان ، والثاني عام الحديبية عند انفكاكه منها . والثالث قاله مجاهد [٤] فتح خيبر وفي بعض الآي ما يدل عليه . والرابع قال الضحاك [٥] المراد فتح الله له بالاسلام والنبوّة والدعوة والحجة [٦] والسيف ، والفتح [٧] أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كلها ، إذ لا فتح من فتوح الاسلام الاّ وهو عنه ومشتق منه . الخامس قال غيره : المراد نصر الله تعالى على أهل مكة أنك تدخلها أنت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت . قوله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال ابن عباس : ما تقدم قبل النبوة وما

---

(١) مكرر في أكثر من آية . مثلا ٢ : ١٤٢ ، ٢١٣ ، ٢٧٢ (وهي جميعاً مدنية)

(٢) سورة ٣٧ آية ١٧٢ (مكية)

(٣) في الاصل « أبو بكر » وهو لا شك سهو ، وكنية الرازي المفسر صاحب مفاتيح الغيب هي أبو عبد الله أو أبو الفضل وهو بلقبه أعرف .

(٤) مجاهد بن جبر المكي الامام المفسر الحافظ ، مات سنة ١٠٣ هـ بمكة عن ثلاث وثمانين سنة .

(٥) الضحاك بن مخلد الشيباني البصري الحافظ ، مات بالبصرة في الرابع عشر من ذي الحجة سنة ٢١٢ هـ عن تسعين سنة وأشهر (٦) لعله « الدعوة بالحجة » كما ورد في تفسير أبي السعود المطبوع بهامش تفسير الرازي . (٧) لعله « ولا فتح » كما جاء في تفسير أبي السعود المذكور .

تأخر بعدها . وقال غيره : ما وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه مغفور له . وقال سفيان: ما تأخر : هو ما لم يعلمه . وقال آخر : المتقدم المتأخر معاً ما كان قبل النبوة . وقال آخر : تأكيد للمبالغة كما تقول : أحبّك من عرفك ومن لم يعرفك . وقال آخر : ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب أبيك آدم وحواء وما تأخر ذنوب أمتك . وقال آخر : المعنى لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه . قوله « ويتم نعمته عليك » قيل بالنبوة والحكمة ، وقيل بفتح مكة والطائف وخيبر ، وقيل بخضوع من استكبر ، والصحيح بدخول الجنة . قوله « ويهديك » المراد يثبتك على الهدى كما في قوله « يأيها النبي اتق الله » (١) « يأيها الذين آمنوا آمنوا » وأمثال ذلك . قوله « صراطاً مستقيماً » المراد به هنا الاسلام .

وأما من جهة علم التصوف فلم يرد الينا ما كتبه السيوطي في تصديره عنه .

***

وهذا التصدير يعطينا صورة واضحة عن طرق البحث والدرس وما كان يعتمد عليه في اجازة الطلاب وتخريجهم في ذلك العصر . وبعد أن عدّ السيوطي كتبه في فن التفسير أخذ يعدها في « فن الحديث وتعلقاته » وفي « فن الفقه وتعلقاته » . وفي « فن العربية وتعلقاته » وفي فن الاصول ، والبيان ، والتصوف ، وأخيراً في التاريخ والأدب .

وعد هذه المؤلفات هنا أمر يطول شرحه فليرجع اليها في كتابه حسن المحاضرة ج ١ ص ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١ .

وكما عرفت مصر هؤلاء في ظل الأزهر القديم عرفت كثيرين غيرهم في مختلف الفنون والعلوم فعرفت مثلاً من أئمة القراءات أبا القاسم الشاطبي صاحب الشاطبية ذلك المقرىء الضرير أستاذ القراءات في المدرسة الفاضلية الذي كان رأساً في فنه منقطع القرين توفي سنة ٥٩٠ هـ وعرفت في فقه الحنفية «السروجي» صاحب شرح الهداية توفي سنة ٧٠١ هـ وعرفت في هذه الناحية أيضاً ابن التركماني وقد شرح الهداية كما شرح الجامع الصغير وألقاه دروساً بالمنصورية توفي سنة ٧٤٤ هـ .

كما عرفت في التاريخ المقريزي صاحب الخطط وغيرها وشمس الدين السخاوي صاحب كتاب الضوء اللامع لأهل القرن التاسع في ست مجلدات وهو من أوسع المصادر التي عرفها

(١) سورة ٣٣ آية ١ (مدنية)

الباحثون في تاريخ القرون الوسطى ، استدرك فيه على شيخه ابن حجر العسقلاني ما فاته من أعيان المائة الثامنة وبسط تاريخ أهل القرن من رجال ونساء ممن توفوا في العصر المذكور أو تأخر الى القرن العاشر . وله أيضاً الجواهر والدرر في ترجمة الشيخ ابن حجر . وفتح المغيث في شرح ألفية الحديث . والمقاصد الحسنة في الأحاديث الجارية على الألسنة . ويقول ابن العماد في كتابه شذرات الذهب إنه أجمع وأتقن من كتاب السيوطي المسمى بالجواهر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة . وله غير ذلك توفي سنة ٩٠٢ هـ ويكفي ذلك عرضاً وتمثيلاً لبيان انتاج من عاشوا بمصر في ظل الأزهر في ذلك الزمن السحيق وهو انتاج قيم عظيم في بابه ليس في ذلك من شك .

نظام التعليم في الازهر القديم

وكان النظام التعليمي للازهر في ذلك الوقت يتلخص فيما يلي : ـ

١ — كان هناك أستاذ أكبر للمادة يشرف على من دونه . وهؤلاء كانوا يحرصون على ملازمة أستاذهم حتى المهات وكل أمنيتهم أن يصلوا الى مثل مرتبته في الفن . فالسيوطي مثلاً يحدثنا عن نفسه يقول : « لما حججت شربت من ماء زمزم لأمور منها : أن أصل في الفقه الى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني . وفي الحديث الى رتبة الحافظ بن حجر » .

ويقول : كان أول شيء ألفته « شرح الاستعاذة والبسملة » وأوقفت عليه شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقيني فكتب عليه تقريظاً ولازمته في الفقه إلى أن مات .

٢ - كان الطالب يصح أن يجاز في مادة ويرجأ في الأخرى . فهو في مادة أستاذ معلم وفي أخرى طالب تحت الاجازة .

٣ — كانت الشهادات تعطى من الأساتذة وتسمى إجازة . وكان الطالب إذا آنس من نفسه القوّة في العلم والقدرة على التدريس والافتاء طلب من شيخه أن يجيزه . وسننشر بعد قليل صورة إجازة من هذه الاجازات .

٤ — كان للطالب منتهى الحرية في اختيار المادة ، والأستاذ ، وله الحرية أيضاً في الغياب والحضور .

٥ — كان لكل كتاب قارىء غالباً . فمثلا نرى البدر العيني صاحب عمدة القاري شرح صحيح البخاري يسمع صحيح البخاري على أستاذه العراقي بقراءة الشهاب احمد بن منصور الأشموني . ويسمع الالمام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد بقراءة غيره . ويسمع محاسن الاصطلاح وتضمين مقدمة ابن الصلاح على أستاذه سراج الدين البلقيني بقراءة السراج قاري الهداية وهكذا .

وكان الأستاذ قبل أن يلقي درسه يتوجه الى الله يستلهمه العون مفتتحاً درسه بسم الله الرحمن الرحيم ثم يحمد الله ويصلي على نبيه . ويرشد الى المصادر التي رجع اليها في درسه ويسند كل رأي . أو اعتراض أو جواب لقائله . وكان تلقين الطالب المعلومات يأتي إما عن طريق الرواية أو عن طريق الدراية .

وكانت هناك صلة روحية قوية بين الأستاذ والطالب ، مربوطة برباط العلم الخالص لوجه الله . بل قل كانت هناك بنوّة في العلم . فالاستاذ والد والطلاب أبناء والكل يكوّنون أسرة علمية كأسرة النسب بل هي أقرب ، لأن أساسها المودة التي لا تعرف العقوق . ومظاهر هذه الصلة الروحية كانت تتجلى من ناحية الاستاذ في عطفه على الطالب ، فهو للطالب في العلم أستاذ ، وفي الخير موجه ، وفي النافع مرشد ، وفي البحوث مشرف مخلص . كنت ترى الاستاذ يسأل عن ابنه في العلم إذا غاب ، ويعوده إذا مرض ، ويعنى به في جميع شؤونه حتى ماديًّا .

روى ابن ثعلب الادفوي الشافعي المتوفى سنة ٧٤٨ هـ في كتابه الطالع السعيد « أن ابن دقيق العيد كان يصحب قاضي القضاة السروجي الحنفي . فكان إذا سافر الى القاهرة يذكر له كل سفرة جماعة من الطلبة المعروفين بالخير ويحضر سجلات لهم من غير أن يعرفوا . وكما كان هناك العطف الخالص من ناحية الاستاذ ، كان هناك الاحترام والتوقير والاكبار والاجلال من ناحية الطالب ، ويجمع الكل التعاون في طلب الحقيقة ونشر العلم .

قلنا فيما تقدّم إن الشهادة كانت تعطى للطالب من الاستاذ وتسمى اجازة . وها هي ذي صورة اجازة من ابن دقيق العيد الى تلميذه شمس الدين بن المفضل بالفتوى والتدريس .

ابتدأها بعد سؤال شمس الدين له بالاجازة قال :

«استخير الله تعالى في الايراد والاصدار ، واعتصم به من آفتى التقصير والاكثار ، واستغفر الله فيما فرط في الجهر والأسرار ، وأقول : إني ذاكرت فلاناً زينه الله بالتقوى وحرسه في السر والنجوى ، في فنون من العلوم الشرعية ، العقلية ، والنقلية ، فألفيته يرجع إلى معقول صحيح ، ومنقول صريح ، وإطلاع على المشكلات ، وإضطلاع بحل المعضلات ، لاسيما في فقه المذهب ، فانه أصبح فيه كالعلم المذهب . وقام بعلم العربية ، والتفسير ، فصار فيها الفاضل النحرير ، وقد أجبته إلى ما التمس ، وإن كان غنيًّا بما حصل واقتبس ، فليدرس مذهب الامام الشافعي رضى الله عنه لطالبيه . وليجب المستفتي بقلمه وفيه ، ثقة بفضله الباهر ، وورعه الوافر ، وفطرته الوقادة ، وألمعيته المنقادة ، والله تعالى ينفعنا وإياه بما علمناه ، ويرفعنا بذلك لديه فما المقصود سواه» .

وكان الطالب يعني بأمر آبائه في العلم فنرى مثلاً . العيني شارح البخاري المتقدم ذكره يؤلف كتاباً يستوفى فيه تراجم شيوخه يسميه « معجم الشيوخ » ، ونرى الامام السيوطي يترجم لمائة وخمسين من شيوخه في معجم كبير يسميه « حاطب ليل وجارف سيل » . ونرى الامام النووي في كتابه « تهذيب الأسماء واللغات » يرسم سلسلة لمن تفقه عليهم مبتدئاً بأستاذه حتى الامام الشافعي . ثم يمضي إلى رسول الله صلوات الله عليه فيقول : « فأما أنا فأخذت الفقه قراءة وتصحيحاً وسماعاً وشرحاً وتعليقاً عن جماعات أولهم ... ثم يمضي في السلسلة إلى أن يصل الى رسول الله.

ونراه في مقدمة هذه السلسلة يقول : « وهذا — أي العناية بأمر سلسلة التفقه — من المطلوبات المهمات ، والنفائس الجليلات ، التي ينبغي للمتفقه والفقيه معرفتها وتقبح به جهالتها ، فإن شيوخه في العلم آباء في الدين ، وصلة بينه وبين رب العالمين . وكيف لا يقبح جهل الانسان بهم ، وهم الوصلة بينه وبين ربه الكريم الوهاب ، مع أنه مأمور بالدعاء لهم ، وبرهم وذكر مآثرهم ، والثناء عليهم ، وشكرهم » .

ونرى النووي هذا أيضاً في مقدمة كتابه « المجموع » يعقد فصلاً في النهي الأكيد والوعد الشديد لمن يؤذي أو ينتقص الفقهاء والمتفقهين والحث على إكرامهم وتعظيم حرماتهم ثم يعقد بعد ذلك فصلاً آخر في آداب المعلم والمتعلم .

وهو من أحسن ما خطت يد إنسان في بابه ، وهو فيه دستور عظيم، أحيل القارىء عليه ولولاخوف التطويل لنقلته إليه .

سارت الدراسات الاسلامية بمصر في ظل الأزهر فأنبتت نباتاً حسناً الى أن غشيته غاشية من سلطان ظاهرتين اثنتين كانتا فأوحتا الى أذهان الكثيرين معنى أضر بهذه الدراسات ضرراً بليغاً .

تحريم الاشتغال بالمنطق

والنهي عن التأليف

أما الظاهرة الاولى : وهي تحريم الاشتغال بالمنطق فلقد تأثرت بها مصر بعد أن أفتى أبو عمرو بن الصلاح في الشام بتحريم الاشتغال بالمنطق تعلماً وتعليماً — توفى ابن الصلاح هذا « سنة ٦٤٣هـ » — أما أن مصر تأثرت بها فالسيوطي في كتابه حسن المحاضرة — ج ١ ص ١٥٧ — يقول : « وقد كنت في مبادىء الطلب قرأت شيئاً في علم المنطق ثم ألقى الله كراهته في قلبي وسمعت أن ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك »

ولم يكتف السيوطي بعد أن سمع هذه الفتوى بترك الاشتغال بالمنطق ، بل ألف كتاباً في تحريم الاشتغال به سماه « القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق» . وهذا الكتاب عده السيوطي مع كتبه التي ذكر عدتها في كتابه حسن المحاضرة .

ثم بعد ذلك ألف السيوطي نفسه كتاباً آخر نهى فيه عن علم الكلام بجوار النهي عن المنطق سماه « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام » وهذا الكتاب مخطوط موجود بمكتبة الازهر تحت رقم ٢٠٤ ضمن مجموعة يقال إنها بخط السيوطي نفسه . وهذه المجموعة عثر عليها فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق وفيها التصدير المتقدم له عن سورة الفتح ومقدمة هذا الكتاب ـ « صون المنطق والكلام عن فن المنطق» ـ تعطينا صورة واضحة عما كان يجري في ذلك الوقت من نقاش وجدل بين المؤيدين لدراسة المنطق والمانعين لها . لذلك أنشر منها قطعة . قال تحت هذا العنوان :

صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام

« وبعد» فقد كنت قديماً في سنة سبع أو ثمان وثمانمئة ألفت كتاباً في تحريم الاشتغال بفن النطق سميته « القول المشرق » ضمنته نقول أئمة الاسلام في ذمه وتحريمه وذكرت فيه أن شيخ الاسلام أحد المجتهدين تقي الدين بن تيمية ألف كتاباً في نقض قواعده ولم أكن إذ ذاك وقفت عليه ومضى على ذلك عشرون سنة فلما كان في هذا العام وتحدثت بما أنعم الله به عليَّ من الوصول الى رتبة الاجتهاد . ذكر ذاكر أن من شروط الاجتهاد معرفة فن المنطق. وقد فقد هذا الشرط عندي بزعمه، وما شعر المسكين أني أحسنه أكثر ممن يدَّعيه ويناضل عليه، وأعرف أصول قواعده وما بنيت عليه وما يتولد منها معرفةً ما وصل اليها شيوخ المناطقة الآن إلا شيخنا « الكافيجي » فقط . فتطلبت كتاب ابن تيمية حتى وقفت عليه فرأيته سماه « نصيحة أهل الايمان في الرد على منطق اليونان»

وأحسن فيه القول ما شاء من نقض قواعده قاعدة قاعدة وبيان فساد أصولها فلخصته في تأليف لطيف سميته « جهد القريحة في تجريد النصيحة » .

ثم إن كثيراً من المخبطين الذين هم عن تحقيق العلم بمعزل لهجوا بأن يقولوا ما الدليل على تحريمه . وما مستند ابن الصلاح في افتائه بذلك ؟ ونحو ذلك من العبارات. والعجب أنهم يناضلون عن المنطق ولا يتقنونه . ويدأبون فيه وفي أبحاثهم لا يستعملونه فيخبطون فيه خبط عشواء، ولا يهتدون عند المناظرة والاستدلال إلاَّ إلى عمياء .

ولقد اجتمع بي بعض من قطع عمره في المنطق فرأى قول ابن الصلاح في فتاويه : «وليس الاشتغال بتعلمه وتعليمه مما أباحه الشارع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين» فقال : هذه شهادة على نفي فلا تقبل . فقلت : يا سبحان الله . لا طريق أهل الشرع سلكتم ولا طريق أهل المنطق اعتمدتم ! أما أهل الشرع فيقولون : إن النفي إذا كان من أهل الاستقراء التام فانه يقبل ويعتمد . وقد جرى على ذلك أهل الحديث ، وأهل الفقه ، وأهل العربية لغة ونحواً وتعريفاً .

وقد رأيت أن أصنف كتاباً مبسوطاً على طريقة أهل الاجتهاد والاستدلال جامعاً مانعاً

وبالحق صادعاً أبين فيه صحة ما ادعاه ابن الصلاح من نسبة نفي الاباحة الى المذكورين. ولما شرعت ولزم منه الانجرار الى نقل نصوص الأئمة في منع النظر في علم الكلام لما بينهما من التلازم سميت الكتاب « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام » ... الخ. انتهى كلام السيوطي.

لا يعنينا هنا تتبع تاريخ هذه الظاهرة وهل أول من شنها بمصر السيوطي أم سبقه بها غيره كابن تيمية مثلاً وقد أقام بمصر مدة سبع سنين كان طبعاً يبث فيها أفكاره، لايعنينا هذا بل الذي نقصده هو أن علماء مصر لم يسلموا من التأثر بالقول بتحريم الاشتغال بالمنطق وظهر هذا الأثر في جدلهم ونقاشهم ومؤلفاتهم فضرّ ذلك بسير الحياة العلمية في مصر أو بعبارة أخرى في الازهر فقد كانت عائقاً عاق التقدم العلمي وكانت حرباً على علم غايته ترقية فكرة الحق.

ولي أو للقارىء أن يسأل اذا كان من شروط الاجتهاد معرفة المنطق كما يعترف بذلك السيوطي نفسه فكيف يحرّم الاشتغال به تعلماً وتعليماً ابن الصلاح وابن تيمية والسيوطي ؟

وإذا كانت الظاهرة الأولى أفتى بها في الشام وأخذت تسعى حتى دخلت مصر فتأثرت بها الحركة العلمية في الأزهر فلقد ظهرت الثانية وهي النهي عن التأليف في مصر فنادى بها عالم من علمائها هو شمس الدين البابلي الشافعي القاهري الأزهري المتوفي سنة ١٠٧٧ هـ.

نهى البابلي هذا عن التأليف واعتبره مضيعة للوقت فلقد فرغ في زعمه التأليف في سائر الفنون قال « في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ج ٤ ص ٤١ » :

« التأليف في هذه الأزمان من ضياعة الوقت فان الانسان إذا فهم كلام المتقدمين الآن واشتغل بتفهيمه فذاك من أجل النعم وأبقى لذكر العلم ونشره، والتأليف في سائر الفنون مفروغ منه وإذا بلغه أن أحداً من علماء عصره ألف كتاباً يقول : لا يؤلف أحد كتاباً إلاّ في أحد أقسام سبعة ولا يمكن التأليف في غيرها وهي إما أن يؤلف في شيء لم يسبق إليه يخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مستغلق يشرحه، أو طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء مختلط يرتبه أو شيء أخطأ فيه مصنفه يبينه، أو شيء مفرّق يجمعه». انتهى كلام البابلي.

وإذا كانت الظاهرة الأولى قد غلت العقل عن النظر في علم المنطق ومن باب أولى الفلسفة التي هي كلٌّ لهذا الجزء غلته عن العلم الذي يرينا كيف نفكر بل كيف ينبغي أن نفكر . فهي من ناحية أخرى قد أضرّت بالحياة الاجتماعية ، فأوقعت بعض الأفراد في نزاع جرّ إلى خصومة فعداوة .

اذا كانت الظاهرة الأولى قد فعلت فعلها هذا فوق ما ضيعت من وقت في نقاش فارغ فان الظاهرة الثانية — ظاهرة النهي عن التأليف — قد خلفت لنا هذه الحواشي والتقارير وتقارير التقارير . وما الى ذلك من الغلو في الصناعات اللفظية.

***

والآن أعرض أشهر الكتب الازهرية التي تدرس في الازهر لنرى العصور التي ألفت فيها ، وأثر الأزهر في هذه الكتب ، وفي أي العلوم كان أكثر أثراً .

.....

أشهر الكتب التي تدرس في الازهر

النحو

١ — اجرومية محمد بن داود الصنهاجي توفى عام ٧٣٣ هـ

شروحها

١ — شرح الشيخ حسن الكفراوي المتوفي عام ١٢٠٢ هـ

٢ — « « خالد الأزهري « « ٩٠٥ هـ مع حاشيتي أبي النجا والعطار

٢ — كتب ابن هشام المتوفي عام ٧٦١ هـ

١ — قطر الندى ٢ — شذور الذهب ٣ — مغني اللبيب

٣ — ألفية ابن مالك المتوفي عام ٦٧٢ هـ

شروحها

١ — ابن عقيل المتوفي ٧٦٩ هـ

٢ — الاشموني « ٩٠٠ هـ مع حاشية الصبان المتوفي ١٢٠٦ هـ

علوم البلاغة

١ — رسالة أبي القاسم السمرقندي المتوفي سنة ٨٠٩ هـ مع شروحها وحواشيها
٢ — رسالة الدردير « « ١٢٠١ هـ
٣ — تلخيص المفتاح للقزويني « « ٧٣٩ هـ وأهم شروحه
١ — مطول سعد الدين التفتازاني المتوفي ٧٩١ هـ

المنطق

١ — سلم الأخضري المتوفي عام ٩٤١ هـ
٢ — ايساغوجي وضعه فرفريوس وشرحه الأبهري المتوفي عام ٦٦٣ هـ
٣ — الشمسية لعلي بن عمر القزويني المتوفي عام ٦٧٥ هـ
٤ — موجز لمحمد بن يوسف السنوسي المتوفي عام ٨٩٢ هـ

التوحيد

١ — الجوهرة لابراهيم بن ابراهيم اللقاني ١٠٤١ هـ
٢ — الخريدة للدردير (سبق ذكره)
٣ — كتب السنوسي (ذكر سابقاً)
٤ — عقائد النسفي : لنجم الدين أبو حافظ عمر بن حمد توفى سنة ٥٣٧ هـ

التفسير

١ — الجلالين للامامين الجليلين جلال الدين المحلي المتوفى ٨٦٤ هـ وجلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١ هـ
٢ — فخر الدين الرازي المتوفي ٦٠٦ هـ
٣ — السراج المنير للخطيب القزويني « ٩٧٧ هـ
٤ — ارشاد العقل السليم لأبي مسعود العمادي التركي « ٩٨٢ هـ

٥ — البيضاوي المتوفي ٧١٦ هـ
٦ — السيوطي « ٩١١ هـ
٧ — الطبري « ٣١٠ هـ
٨ — مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات المعروف بالنسفي توفي سنة ٧٠١ هـ أو ٧١٠ هـ .

الحديث والسيرة والمصطلح

١ — المواهب اللدنيّة للقسطلاني المتوفي سنة ٩٢٣ هـ
٢ — الشمائل للترمذي « ٢٧٩ هـ
٣ — الجامع الصغير للسيوطي « ٩١١ هـ
٤ — الشفا للقاضي عياض « ٥٤٤ هـ
٥ — البيقونية ألفه أحد علماء القرن الحادي عشر للهجرة

الاصول

١ — جمع الجوامع لعبد الوهاب السبكي المتوفي سنة ٧٧١ هـ
٢ — ابن الحاجب « « ٦٤٦ هـ

الفقه

١ — فقه الحنفية

١ — الهداية لعلي الميرغناني المتوفي ٥٩٣ هـ
٢ — كنز الدقائق لعبد الله بن احمد النسفي المتوفي ٧١٠ هـ ، مع شروح العيني المتوفي ٨٥٧ هـ ، وملاّ مسكين المتوفي ٩٥٠ هـ ، وابن نجم المتوفي ٩٧٠ هـ ، ومصطفى الطائي المتوفي ١١٩٢ هـ .
٣ — نور الايضاح لحسن الشرنبلالي المتوفي ١٠٦٩ هـ
٤ — مراقي الفلاح مع حاشية الطهطاوي المتوفي ١٢٣١ هـ .

٥ — شرح الحصكفي المتوفي عام ١٠٨٨ هـ المسمى الدر المختار مع حاشية ابن عابدين المتوفي ١٢٥٣ هـ على تنوير الأبصار لمحمد بن عبد الله التمرتاشي المتوفي سنة ١٠٠٤ هـ .

٦ — كتاب غرر الأحكام وشرحه المسمى درر الأحكام لملا خسرو المتوفي عام ٨٨٥ هـ.

٢ — فقه الشافعية

١ — منهاج الطالبين للنووي المتوفي عام ٦٧٦ هـ ، وهو مقتبس من كتاب المحرر للرافعي المتوفي عام ٦٢٣ هـ . وأشهر الشروح التي كتبت على المنهاج هي :

٢ — النهاية للرملي المتوفي سنة ١٠٤٤ .

٣ — تحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي المتوفي عام ٩٧٣ أو ٩٧٤ هـ .

٤ — التحرير لزكريا الانصاري المتوفي عام ٩٢٦ هـ .

٥ — منهج الطلاب لزكريا الانصاري أيضاً .

٦ — شرح ابن القاسم الغزي المتوفي عام ٩١٨هـ المسمى القول المختار .

٧ — مختصر أبي شجاع الأصفهاني المتوفي حوالي عام ٥٠٠ هـ .

٣ — فقه المالكية

١ — الرسالة لعبدالله بن أبي زيد القيرواني المتوفي عام ٣٨٨ هـ . وقد شرح هذه الرسالة كثيرون منهم: أبو الحسن الشاذلي المتوفي ٩٣٩هـ ، والتتائي المتوفي عام٩٤٢هـ ، والأجهوري المتوفي ١٠٦٦ هـ.

٢ — مختصر خليل بن اسحق المتوفي ٧٦٧هـ ولهذا المختصر الذي كتبه مكانة سامية بين المالكية أشبه بمكانة كتاب النووي بين الشافعية. وقد شرحه كثيرون نذكر من بينهم الحطاب والمازني والتتائي ، والأجهوري ، وعبد الباقي بن يوسف الزرقاني المتوفي ١٠٩٩هـ، والخرشي المتوفي عام ١١٠١ هـ، والدردير المتوفي ١٢١٠هـ ومحمد عليش المتوفي سنة ١٢٩٩ هـ.

٣ — متن العشماوية لعبد الباري العشماوي مع شرح احمد بن التركي المتوفي حوالي عام ٩٩٢ هـ .

٤ — العزية وقد شرحها كل من ابن التركي والفيشي والزرقاني .

٤ — فقه الحنابلة

١ — دليل الطالب لمرعي بن يوسف المتوفي ١٠٣٣ هـ ومنتهى الايرادات لمحمد بن أحمد الفتوحي .

***

هذه هي أشهر الكتب الأزهرية والعصور التي ألفت فيها .

واذا نظرنا الى أثر الأزهر في هذه العلوم ونسبنا العالم المصري الى الأزهر نجد أن الأزهر له أكبر الأثر في أصول الفقه وفي النحو والحديث والتفسير والفقه فابن السبكي (١) وابن الحاجب (٢) مصريان . وكذلك النحو فابن هشام مصري وهو الذي قال عنه ابن خلدون « ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية أنحى من سيبويه » . إلى آخر ما تراه بعد أن ترجع إلى جنسية مؤلف الكتاب .

هذه صورة مصغرة عرضناها للأزهر القديم والآن نرى الأدوار التي مرّت به حتى وصل الى ما هو عليه الآن .

---

(١) عبد الوهاب السبكي ولد بالقاهرة ولازم الاشتغال بالفنون على أبيه وغيره حتى مهر وهو شاب ويخبرنا صاحب كتاب معجم المطبوعات العربية والمعربة يقول « ومما قرأته في كتاب مخطوط ما يأتي أجاز له ابن الشحنة ويونس الدبوسي وسمع الصابوني وابن سيد الناس ثم قدم مع والده الى دمشق فسمع بها على زينب بنت الكمال وقرأ بنفسه على المزني ولازم الذهبي وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه الاجوبة المرضية أن أهل زمانه رموه بالكفر وتحزبوا عليه وأتوا به مقيداً مغلولا من الشام الى مصر وجاء معه خلائق من الشام ليشهدوا عليه ثم تداركه اللطف على يد الشيخ جمال الدين الاسنوي . وكتابه جمع الجوامع هذا جمعه من زهاء مائة مصنف مشتمل على زبدة ما في شرحه على مختصر ابن الحاجب والمنهاج مع زيادات وبلاغة في اختصار (معجم المطبوعات العربية والمعربة بمجمع فؤاد الاول للغة العربية تحت نمرة ١٥٨٦ ج ٢ عمود ١٠٢ ، ١٠٣)

(٢) ابن الحاجب ولد باسنا في الصعيد وقرأ على الشاطبي بعض القراءات وسمع الحديث عليه وأخذ الفقه عن أبي منصور الابياري وانتقل الى دمشق ودرس بجامعها في زاوية مالكية وأكب الفضلاء على الاخذ عنه ثم عاد الى مصر وتوفي بالاسكندرية وقبره خارج باب البحر بتربة الشيخ الصالح ابن أبي شامة

خطوات الازهر

جاء السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر فغرس في نفوس أبنائها حكمته الخالدة «لا يجتمع الذل والاسلام في قلب واحد» وجدت هذه الكلمة في نفوس تلاميذ الشيخ مكاناً خصباً فنمت وترعرعت، حتى أثمرت تلك النهضة الجديدة التي حمل لواءها بعده تلميذه المخلص الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده.

حمل الأستاذ الامام لواء النهضة منادياً بكلمته المشهورة الخالدة «الايمان الذي يجتمع معه أدنى خوف من المخلوقات ليس بإيمان. ومن كان عنده من الثقة بالله ما لا يخشى معه أحداً فهو المؤمن. وهذا الإيمان هو الذي يضع رجل صاحبه في عتبة الجنة».

وماذا يصنع؟ وجه همته فيما وجه إلى إصلاح الأزهر، فهو معقل الدين، وحصن اللغة، ومنه ينبغي أن تخرج المثل العليا للناس. أما أن يبقى على ما هو عليه فذلك مما يضر ولا ينفع

نظر إلى الأزهر وقتئذٍ فوجده لا نظام له، والطلبة مهملين، والعلماء الذين هم قدوة الناس وأئمتهم، أقرب إلى التأثر بالأوهام والانقياد إلى الوساوس من العامة وأسرع إلى مشايعتها منهم وعلة ذلك فساد طرق التعليم والتربية في الأزهر.

كان الأزهر وقتئذٍ يرغب عن بعض العلوم ولا يرى في الاشتغال بها فائدة، بل يحرّمها. مثلاً كانوا يرغبون عن التاريخ، فصرخ فيهم صرخة قائلاً: «إذا بقيتم على جهلكم بالتاريخ إلى هذا الحد فلا يمكنكم أن تعرفوا دينكم ولا نجاح لكم في دنياكم، إن قراءة التاريخ واجب من الواجبات الدينية، وركن من أركان اليقين فلا بد من تحصيله».

رآهم يعرضون عن دراسة الأدب فقال لهم: «ترك الاشتغال بدقائق الفصاحة، والبلاغة، واليراعة موت للحياة العقلية».

رآهم في شبه عزلة عن الأمة فقال : « من أكبر التقوى علو الهمة ، والسعي في مصلحة الأمة ، ونفع الناس » .

رأى أسلوب التعليم في الأزهر إنما يعني أكثر ما يعني بالصناعية اللفظية، ويطبق ذلك حتى على القرآن الكريم فقال : « لا يمكن لهذه الامة أن تقوم ما دامت هذه الكتب فيها — يعني كتب التعليم التي تدرس في الازهر وأمثالها — ولن تقوم إلا بالروح التي كانت في القرن الاول وهي القرآن، وكل ما عداه فهو حجاب قائم بينه وبين العمل والعلم .. ثم قال: إنما يصعّب القرآن توهم أنه صعب . وكلما أدخل الانسان على نفسه الصعوبة صعب عليه . وكلما مكن نفسه من الفهم مكنه الله منه . إن لكلام الله أسلوباً خاصاً يعرفه أهله ومن امتزج بلحمه ودمه . وأما الذين لا يعرفون منه إلاّ مفردات الالفاظ وصور الجمل فأولئك عنها مبعدون . يجب على كل شخص له إيمان صحيح ، أن يعقل عقائده على الوجه الذي في كتاب الله وسنة رسوله » الى آخر ما قال .

***

هذا هو حال الازهر في القرن الماضي ، وكان رأي الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده في اصلاح الازهر يوضحه هذه الكلمات التي سقناها له .

ولأجل أن نتصور أكثر ما كان عليه الأزهر يومئذٍ ننشر له مقالا كتبه هو نفسه تحت عنوان « الجامع الازهر » ، ثم ننشر له بعد ذلك بعض اقتراحات اقترحها لاصلاح دار العلوم ورأى أنها لازمة ليمكن أن ينتهي أمرها الى أن تحل محل الازهر وعند ذلك يتم توحيد التربية في مصر .

قال : « الجامع الازهر مدرسة دينية عامة يأتي اليها الناس إما رغبة في تعليم علوم الدين رجاء ثواب الآخرة، وإما طمعاً في بعض الامتيازات لطلاب العلم فيه، ولا يزال بعضها إلى اليوم . ولكن مما يؤسف عليه أنه لا نظام لها في دروسها . ولا يسأل فيها التلميذ أيام الطلب عن شيء من أعماله . ولا يبالي أستاذه حضر عنده في الدرس أم غاب ، فهم أم لم يفهم . صلحت أخلاقه أم فسدت . ويمر عليه الزمان الطويل ، لا يسمع فيه نصيحة من أستاذه تعود عليه بالصلاح في دنياه أو دينه، وإنما يسمع منها ما يملأ القلب بغضاً لكل من

لم يكن على شاكلته في الاعتقاد حتى من بني ملته ، ويطبق على الذهن غفلته ، ويستفزه الطيش لتصديق كل ما يسمع ، إذا كان موافقاً لمبدأ التعصب الجاهلي ، فأغلب الاوقات تمر على أهل الجد منهم في فهم مباحث لبعض المتأخرين لا فائدة فيها ، ولا يتعلمون من الدين إلاّ بعض المسائل الفقهية . وطرفاً من العقائد على نهج يبعده عن حقيقته أكثر مما يقرب منها . وجلّ معلوماتهم تلك الزوائد التي عرضت على الدين . ويخشى ضررها ولا يرجى نفعها .

ثم ان المعروفين بالعلماء وهم الذين يتممون دروسهم في هذه المدرسة ، ويؤذن لهم بالتدريس فيها ، هم قدوة الناس وأئمتهم ، مع أنهم أقرب الى التأثر بالأوهام ، والانقياد إلى الوساوس من العامة ، وأسرع الى مشايعتها منهم . وذلك بما ينشأون عليه من التعليم الرديء والتربية المختلفة التي لا ترجع إلى أصل صحيح فبقاؤهم فيما هم عليه اليوم مما يؤخر الرعية عن تقدير السلطة الصالحة قدرها .

إصلاح الأزهر لا بد أن يكون بالتدريج في تغيير نظام الدرس وجعلها في الابتداء تحت قواعد ساذجة قريبة من الحال الحاضرة فيها ، بحيث يقرر فيها أن كل من أدرج اسمه في جدول الطلبة يلزم بالحضور في الدروس وإلاّ حرم الامتياز ، وكل أستاذ يسأل عن طلبته ثم يجعل ما ينالونه من المنافع الطفيفة منوطاً بالفهم لا بالكتب ، وتغيير بروجرام الدروس ويزاد عليه أصناف من الكتب بحيث يدخل فيه تدريس الآداب الدينية المفقودة الآن بالكلية ، ويكلف الاستاذ بتعهد أخلاق تلميذه ، لتكون منطبقة على تلك الآداب بقدر الامكان ، ويجعل شيخ الجامع رقيباً على الأساتذة والتلامذة في ذلك ، ثم يعدّل نظام الامتحان النهائي وشروطه . وكل ذلك يكون على طرق بسيطة لا توجه الأذهان إلى شيء خلاف المصلحة وتفصيلها يكون في لائحة مخصوصة .... وقد يظن بعض من لم يتفكر في حال البلاد ومرتبتها الأدبية والدينية أن إصلاح الأزهر لا يمكن ، لأنه يترتب على مجرد الشروع فيه تشويش أذهان العلماء ، والعامة على إثرهم ، فهذا ظن فاسد لا يؤيده دليل ، ولم تقض به تجربة ، إلاّ ما كان من بعض الرؤساء من مدة عشرين سنة ، عند ما أراد ادخال بعض العلوم الصناعية فيه ، فقاومه بعض من كان موجوداً من العلماء فيئس من الاصلاح وترك الأمر الى اليوم ، فقد كان ذلك قبل أن تتقلب الحوادث على مصر ، ولم يكن بالتدريج اللائق ، أما الآن فقد تغيرت

الأحوال وأصبح الاصلاح فيه أهون منه في جميع المصالح » . انتهى المقال

وها هي ذي بعض الاقتراحات أنشرها وهي من غير شك تلقي ضوءاً امام المفكرين في أمر التعليم . ولما كانت هذه الاقتراحات خاصة بدار العلوم كما قلنا حذفت منها ما يشير إلى المدرسة وليس في ذكره هنا فائدة ما دمنا بصدد الكلام على الأزهر .

١ — زيادة بعض علوم منها علوم الآداب الدينية ، وفن أصول النظام مع تعلقه بالدين .

٢ — تغيير طريقة تدريس تفسير القرآن وتعلم الأحاديث النبوية .

٣ — اختيار معلمين صالحين للقيام بالعمل الموصل الى الغاية المطلوبة .

٤ — وهو أهم ما يجب ، أن يكون تحت نظام شديد في التهذيب وملازمة العمل بما يعلمون .

٥ — أن تكون درجتهم في الوظائف على حسب أدبهم واقتدارهم على التأديب .

٦ — ان يكون للموظف سلطة تامة على تهذيب التلامذة ، وتربية نفوسهم وتقويم أخلاقهم وطباعهم وأرقاهم وظيفة يكون رئيساً لمن دونه

٧ — أن يبقوا بلباسهم الذي هو لباس أهل الدين مهما ترقوا في الوظائف

ثم قال : يلزم لهذا المشروع كتب تؤلف جديداً ولوائح تنظم للعمل على مقتضاها وذلك كله يمكن بعد العزم على الاجراء » .

ذلك المقال يصوّر لنا إلى حدٍّ كبير حال الأزهر في القرن الماضي كما يصوّر حال الطلاّب ويصوّر ما كان عليه الأساتذة وكيف كان يطعن هؤلاء الأساتذة كل من لم يكن على شاكلتهم في الاعتقاد حتى من بني ملته ، ويصوّر رغبة المجدين من الطلاب عن هذا اللون من التعليم وانصرافهم الى الاشتغال بمباحث لبعض المتأخرين لا فائدة فيها ، كما يصوّر مقدار ما كان يدرس في الأزهر متعلقاً بالدين . ويصوّر جل معلومات الأزهريين في ذلك الوقت وأنها كانت تلك الزوائد والأوشاب التي علقت بالدين وليست منه ، والتي يخشى ضررها ولا يرجى نفعها . وأخيراً يبين حال أساتذة الازهر وأنهم كانوا أقرب الى التأثر بالاوهام والانقياد الى الوساوس من العامة وأسرع الى مشايعتها منهم . ثم يرجع سبب كل هذا الى فساد طرق التعليم والتربية المختلفة التي لاترجع الى أصل صحيح . وفي النهاية ينادي بأن ترك الازهر على هذه الحال — التي كانت في القرن الماضي — مما يضر بالامة .

رأى هذه الحال الاستاذ الامام في الازهر رؤية طالب مكث فيه السنين الطويلة وخبرها خبرة رجل مارس التعليم فيه، واحتك برجاله والقائمين على أمره فشغل أمر الازهر باله وأقض جمود من فيه مضجعه، رأى ذلك غيوراً على الاسلام والمسلمين، مكتئباً لما وصلت اليه الدراسات الاسلامية في الازهر، فأخذ يحتال لارضاء الازهريين ليتمكن من إدخال بعض العلوم فيه حتى يؤدي رسالته على الوجه الذي ينبغي أن يكون. نعم أخذ يحتال.

يقول أستاذنا الجليل معالي أحمد لطفي السيد باشا في كتابه المنتخبات (ج ٢ : ص ٥٢) كان استاذي الامام محمد عبده يحتال لارضاء الازهر بأن يسمي علم الطبيعة « علم خواص الاشياء التي أودعها الله في الاجسام »، كذلك كان، وكذلك صدر قانون مدرسة القضاء الشرعي »

هذه صورة الازهر في القرن الماضي صورها الأستاذ الامام نفسه وفيها نرى المجهود الذي بذله الأستاذ الامام في سبيل الاسلام والمسلمين بمحاولته إصلاح الأزهر.

* * *

بعد ذلك نعرض الادوار التي مرت بالازهر حتى وصل الى ما هو عليه الآن من نمو بفضل البذرة التي بذرها السيد جمال الدين الافغاني، وتعهدها من بعده تلميذه الاستاذ الامام محمد عبده، ويقوم الآن على حراستها وانمائها تلميذه المخلص الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق.

لما ولى الخديو عباس الثانى الحكم تقدم اليه الشيخ محمد عبده بخطة لاصلاح الأزهر فوفق الى استصدار قانون تمهيدي في رجب سنة ١٣١٢ هـ — ١٥ يناير سنة ١٨٩٥م وتألف مجلس لادارة الأزهر من أكابر شيوخه الذين يمثلون المذاهب الأربعة. وعنى المجلس بحركة الاصلاح فجعل للشيوخ مرتبات، واستصدر قانوناً لكساوي التشريف، واهتم بمساكن الطلبة وعمل على توزيع الجراية، وحدد العطلات. وقصر أجلها وأدخل بعض العلوم الحديثة، وعني بمكتبة الأزهر، وأنشأ مكتبات في المعاهد الملحقة به. وانتقل الأزهر بالقانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ الى مرحلة أخرى من النظام إذ زيدت فيه مواد الدراسة وبين اختصاص شيخ الجامع الأزهر. وأنشىء له مجلس تحت رئاسة شيخه يسمى «مجلس الأزهر الأعلى» ووضع فيه نظام لهيئة كبار العلماء، وجعل لكل مذهب من المذاهب الأربعة شيخ، ولكل معهد من المعاهد مجلس ادارة.

استمر الأزهر خاضعاً لهذا القانون مع ما لحقه من التعديل الى أن صدر القانون رقم

٣٣ لسنة ١٩٢٣ بانشاء قسم التخصص . وفي ٢٤ جمادى الآخرة لسنة ١٣٤٩ هـ (١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٠) صدر مرسوم بقانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ باعادة تنظيم الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية ، وبدىء العمل به من سنة ١٩٣١ وهو القانون الذي وضع أساسه الأستاذ الامام المراغي . وقد جعل هذا القانون التعليم في الأزهر أربع مراحل .

مراحل التعليم في الازهر

والعلوم التي تدرس فيه

١ — ابتدائي : ومدته أربع سنوات ويدرس فيه من المواد ما يلي :—

الفقه . الأخلاق الدينيـة . التجويد . استذكار القرآن الكريم . التوحيد . السيرة النبوية . المطالعـة . المحفوظات . الانشـاء . النحو . الصرف . الاملاء . الخط . التاريخ . الجغرافية . الحساب . الهندسة العملية . مبادىء العلوم . تدبير الصحة . الرسم .

* * *

٢ — ثانوي : ومدته خمس سنوات ، ويدرس فيه من المواد ما يلي : —

الفقه . التفسير . الحديث . التوحيـد . استذكار القرآن الكريم . النحو . الصرف . البلاغة (معاني . بيان . بديع) العروض والقافية . المطالعة المحفوظـات . الانشاء . أدب اللغة . حساب . هندسة . جبر . طبيعة . كيمياء . تاريخ طبيعي . المنطق . التاريخ . الجغرافية الأخلاق . التربية الوطنية .

* * *

٣ — عالٍ : ومدته أربع سنوات ، وينقسم الى ثلاث كليات :

(ا) كلية اللغة العربية : ويدرس فيها من المواد ما يلي :

النحو . الوضع . الصرف . المنطق . علوم البلاغة . الآداب العربية وتاريخهـا . تاريخ العرب قبل الاسلام . تاريخ الامم الاسلامية . التفسير الحديث . الأصول . الانشاء . فقه اللغة .

* * *

(ب) كلية الشريعة : ويدرس فيها من المواد ما يلي :

التفسير . الحديث متناً ورجالاً ومصطلحاً . أصول الفقه . تاريخ التشريع الاسلامي .

الفقه مع مقارنة المذاهب في المسائل الكلية حكمة التشريع ، آداب اللغة العربية . علوم . البلاغة . المنطق .

* * *

(ج) كلية أصول الدين : ويدرس فيها من المواد ما يلي :

التوحيد مع ايراد الحجج ودفع الشبه خصوصاً الذائع في العصر منها : المنطق . والمناظرة . الفلسفة مع الرد على ما يكون منافياً للدين منها . الأخلاق . التفسير . الحديث آداب اللغة العربية وتاريخها . تاريخ الاسلام . علم النفس . علوم البلاغة .

* * *

٤ — التخصص وهو على نوعين : تخصص في المهنة وتخصص في المادة . والغرض من التخصص في المهنة إعداد علماء يقومون بمهمة الوعظ والارشاد أو الوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية والافتاء والمحاماة أو التدريس في المعاهد الدينية ومدارس الحكومة .

والغرض من التخصص في المادة إعداد علماء متفوقين في العلوم الاساسية لكل كلية من الكليات الثلاث ويعين حاملو شهادة هذا القسم في وظائف التدريس بالكليات وبأقسام التخصص .

وهناك علاوة على ذلك أقسام غير نظامية يسمح فيها بدخول الطلبة الذين لم تتوافر فيهم شروط القبول بالاقسام النظامية ، وكذلك أفراد الجمهور للتوسع في دراسة اللغة العربية والعلوم الدينية . ويطلق عليها اسم القسم العام وهو أشبه شيء بالجامعة الشعبية التي أنشئت أخيراً ومركز هذا القسم الآن الجامع الأزهر نفسه وله فرع في طنطا .

الشهادات

والشهادات التي تعطى للناجحين في الامتحانات هي :

١ — الشهادة الابتدائية :

تمنح لمن أتموا دراسة القسم الابتدائي وتخوّل صاحبها الاندماج في القسم الثانوي .

٢ — الشهادة الثانوية :

تمنح لمن أتموا دراسة القسم الثانوي وتخوّل صاحبها الاندماج في الكليات .

٣ — الشهادة العالية :

تمنح لمن أتموا دراسة كلية من كليات القسم العالي . والحائزون لها يكونون أهلاً للوظائف الكتابية بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية والمحاكم الشرعية والمجالس الحسبية والاوقاف والتدريس في المساجد ولوظائف الخطابة والامامة والمأذونية .

٤ — الشهادة العالمية :

تمنح لمن أتموا دراسة التخصص في مهنة التدريس أو القضاء الشرعي أو الوعظ والارشاد والحائزون لها من قسم التخصص في مهنة التدريس يكونون أهلاً للتدريس في المعاهد الدينية وفي مدارس الحكومة. والحائزون لها من قسم التخصص في القضاء يكونون أهلاً للوظائف القضائية بالمحاكم الشرعية والافتاء والمحاماة أمام المحاكم الشرعية والمجالس الحسبية. والحائزون لها من قسم التخصص في الوعظ والارشاد يكونون أهلاً لوظائف الوعظ والارشاد .

٥ — شهادة العالمية مع لقب أستاذ :

تمنح لمن تخصص في مادة من المواد . والحائزون لها يكونون أهلاً للتدريس في الكليات وفي أقسام التخصص .

مجلس الازهر الاعلى

وقضى القانون الجديد بتأليف هيئة تشريعية لها حق النظر في اللوائح والقوانين التي تلزم لسير الدراسة والادارة وغيرها في الازهر والمعاهد الدينية وتسمى تلك الهيئة (مجلس الأزهر الأعلى) .

وهو مؤلف من : —

١ — شيخ الجامع الأزهر رئيساً

٢ — وكيل الجامع الأزهر والمعاهد الدينية . وله رياسة المجلس عند غياب شيخ الجامع الازهر

٣ — مدير الجامع الأزهر

٤ — مفتي الديار المصرية

٥ — مشايخ الكليات الثلاث

٦ — وكيل وزارة الحقانية

٧ — وكيل وزارة الأوقاف

٨ — وكيل وزارة المعارف العمومية

٩ — وكيل وزارة المالية

١٠ اثنين من هيئة كبار العلماء ويعينان بأمر ملكي لمدة سنتين

١١ — اثنين ممن يكون في وجودهم بالمجلس مصلحة للتعليم في الأزهر والمعاهد الدينية ويعينان بمرسوم لمدة سنتين

المعاهد الدينية التابعة للازهر

أطلق اسم الجامع الأزهر في القانون الجديد على كليات التعليم العالي وعلى أقسام التخصص.

ويطلق اسم المعاهد الدينية على معاهد تعليم الدين الاسلامي التي يكون التعليم فيها بقصد تفقه الطلاب في دينهم وفي اللغة العربية واعدادهم لدخول الجامع الأزهر .

والتعليم في هذه المعاهد ابتدائي . أو ابتدائي وثانوي . والمعاهد الدينية الآن هي : —

المعاهد الابتدائية والثانوية

(١) معهد القاهرة (٢) معهد الاسكندرية (٣) معهد طنطا (٤) معهد الزقازيق (٥) معهد شبين الكوم (٦) معهد أسيوط (٧) معهد قنا .

المعاهد الابتدائية

(٨) معهد دسوق (٩) معهد دمياط (١٠) صدرت الارادة السنية بمعهد في سوهاج. ولما يفتح بعد .

هذه صورة هذا الصرح الذي وضع أساسه الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده وجاء على هذه الصورة بفضل الأسرة العلوية . وبخاصة المغفور له الملك فؤاد الأول ، وإذا كان الملك فؤاد قد عني بالأزهر هذه العناية فان شبله جلالة مليكنا المحبوب فاروق الأول يحبوه بعطف كبير . ويخصه بعناية فائقة .

تراجم

عن رؤساء الازهر وشيوخه

أصدّر الكلام على رؤساء الأزهر وشيوخه بكلمة عن فضيلة شيخه الحالي حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ مصطفى عبد الرازق

الشيخ مصطفى عبد الرازق

لو أن الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق أعطى في الأصل أن يختار نفسه بنفسه لما تمنى أكثر مما منّ الله عليه به ، فهو أصيل الجدود ، عريق النسب ، من أسرة مشهورة بالعلم والفضل ، فوق ما حباها الله به من نعمة الثراء ، وليس بعد ذلك من زيادة لمستزيد . وفضيلته رجل والرجال قليل ، خصه الله بصفات واضحة فيه وضوح الشمس ، فهو متواضع أشد التواضع ، ندي الكف في غير إعلان عن نفسه ، حتى لا تعلم شماله ما قدمت يمينه ، مؤمن قوي الايمان ، يعقل عقائده على الوجه الذي في كتاب الله وسنة رسوله ، حيي يمنعه حياؤه عما لا يليق بالرجل الكامل ، مخلص يبذل من نفسه في سبيل عمله ، عالم غزير المادة ، نفذ شعاع العلم إلى قلبه ، فنوّره بنوره ، جمع بين الثقافتين الشرقية والغربية فكان عالماً تعلّم من الكتب والأساتذة ، وتعلّم من سياحاته في أوربا وتجاربه الشخصية في البيئات المختلفة ، وهذه هي أعظم مراتب العلم . شبّ فضيلة الأستاذ من حداثته يشعر بما لم يشعر به الكبار من قومه ، وليس أدل على ذلك من شهادة الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده نفسه في خطاب له أرسله اليه قال :

﴿ رعاء بجاب وفراسة تتحقق ﴾

ولدنا الأديب : خير الكلام ما وافق حالاً ، وحوى من النفس مثالاً ، تلك أبياتك العشرة رأيتني والحمد لله متربعاً في سبعة منها كأنها الكواكب تسكنها الملائكة ، وما بقي كأنه الشهب نور للأحياء ، رجوم للأشقياء ، ما سررت بشيء سروري بأنك شعرت من عام حداثتك بما لم يشعر به الكبار من قومك ، فلله أنت ولله أبوك ، ولو أذن لوالد أن يقابل وجه ولده بالمدح لسقت إليك من الثناء ما يملأ

عليك القضاء ، ولكني أكتفي بالاخلاص في الدعاء أن يمتعني الله من نهايتك بما تفرّسته في بدايتك ، وأن يخلص للحق سرك ، ويقدرك على الهداية اليه وينشط بنفسك لجمع قومك عليه والسلام

***

آمنت بالله : دعاء يجاب وفراسة تتحقق ، فانعمي ياروح الأستاذ الامام وتمتعي بأثر إخلاصك في الدعاء ، فمن ابتهلت الى الله من أجله هو امام المسلمين اليوم .

وأسرة آل عبد الرازق تعرف حتى الساعة في صعيد مصر بأسرة القضاه ، ذلك أن مؤسسها كان قاضي خط البهنسا . ولهذه الأسرة أثر كبير في العلم والأدب في تاريخ مصر الحديث فليس من رجالات مصر وعلمائها من يجهل سراي آل عبد الرازق التي كانت بجوار قصر عابدين أمام باب باريس . كانت هذه الدار ملتقى أهل العلم والفضل والأدب تضيئهم كل ليلة بنور العلم والتقى .

وليس في مصر من ذوي الرأي والحجى من لم يأنس بها وصبا الى ناديها . وعرف لها في كل نواحي الخير فضلاً مشكوراً . وهل في مصر أو الشرق من لم يعرف حسن باشا عبد الرازق الكبير — لقب بهذا اللقب للتمييز بينه وبين ابنه حسن باشا عبد الرازق الصغير شقيق فضيلة الأستاذ الأكبر — كان رضوان الله عليه عالماً من أفاضل علماء الأزهر ونبهائهم ، وكان فقيهاً أديباً نظم الشعر ولكن لم ينشره كعادة بعض العلماء وقتئذٍ ، وظهر علمه بالفقه في مجلس شورى القوانين فلقد أعانه فقهه على فهم القوانين ودقة النظر في انتقادها حتى كان من رجالات المجلس يشار اليه بالبنان .

وجّه حسن باشا أبناءه توجيهاً حسناً يشهد له بالعلم ، والفضل ، فوجّه حسناً وحسيناً الى مدرسة الحقوق .

فكان الأول محامياً أهليًّا ومدرساً بمدرسة البوليس ، وألزم الثاني بعد أن قبل محامياً في المحكمة المختلطة بأن يكون عمدة في بلده « أبو جرج » ووجه « محمود باشا » الى الادارة وابراهيم واسماعيل الى مدرسة الزراعة . ووجه أستاذنا الأكبر والشيخ المحترم علي بك عبد الرازق إلى التعليم الديني . فحفظ الأستاذ الأكبر القرآن الكريم وتعلم التعليم

الأولي في احدى المكاتب، ثم التحق بالازهر، وتتلمذ للأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فكان طالباً مجدًّا نجيباً . وأخذ فضيلته شهادة العالمية سنة ١٩٠٩ فكان أول فرقته ترتيباً وأصغر زملائه سنًّا، وسافر الى فرنسا فالتحق « بالسوربون » في باريس لدراسة الفلسفة وعنى من فروعها بالأخلاق وعلم الاجتماع . ثم استدعاه الاستاذ «لمبرت» Lambert الذي كان من قبل ناظراً لمدرسة الحقوق المصرية الى ليون ليساعده في درس القانون المقارن ، وعهد اليه بتدريس الشريعة الاسلامية في كلية ليون كما عهد اليه أيضاً بتدريس اللغة العربية في ليون نفسها وعمل في فرنسا رسالة عن الامام الشافعي بالفرنسية بالاشتراك مع أحد المستشرقين ، وله أيضاً بالفرنسية دراسة عن الوحي وأخرى عن الاسلام . وله عدة محاضرات ألقاها فضيلته في جامعة بيروت عن الدين . وهذه الأبحاث « الدين والوحي والاسلام » نشرتها الجمعية الفلسفية المصرية في مؤلف خاص في سنة ١٩٤٥ . ولفضيلته أيضاً كتاب عن فيلسوف العرب والمعلّم الثاني نشرته الجمعية .

وله دراسات عن البها زهير . والتمهيد في تاريخ الفلسفة . وكتاب عن الشافعي نشر في مجموعة أعلام الاسلام . وكتاب عن الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده . ولفضيلته زيادة على ذلك مؤلفات لم تنشر في المنطق ، والتصوف ، والأدب العربي .

ولما عاد من فرنسا اشتغل سكرتيراً عامًّا للأزهر والمعاهد الدينية ، ثم نقل الى وزارة الحقانية مفتشاً للمحاكم الشرعية . ثم عين سنة ١٩٢٧ أستاذاً للفلسفة الاسلامية والمنطق بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، وفي سنة ١٩٣٨ أختير وزيراً للاوقاف في وزارة رفعة محمد باشا محمود، ولم يقطع صلته بالجامعة في البحث والدرس طيلة السنين التي تولى فيها الوزارة بل كان يلقي المحاضرات ويشترك في مناقشة الرسائل .

وتقلد الوزارة غير مرة تقلدها مرتين في وزارة رفعة محمد محمود باشا ، ومرة في وزارة حسن صبري باشا ، وحسين سري باشا ، واحمد ماهر باشا ، والنقراشي باشا الى أن عين شيخاً للازهر في ديسمبر سنة ١٩٤٥

ولما صدر الأمر الملكي بتعيينه شيخاً للأزهر طلب من مولانا جلالة الملك فاروق الأول إعفاءه من لقب « باشا » فتفضل باعفائه .

هذا هو فضيلة الأستاذ الامام الشيخ مصطفى عبد الرازق في تاريخه الأبيض الناصع سدَّد الله خطاه ومدّ في عمره الغالي ليسير بسفينة الأزهر بما عهد فيه من إخلاص ونبل حتى يؤدي الأزهر رسالته على الوجه الأكمل ، ولفضيلته من عطف حضرة صاحب الجلالة مليكنا المحبوب فاروق الأول ما يمكنه من توجيه الأزهر وجهة صالحة في هذا العصر الذري. وان « ٤٠٠ مليون مسلم » في جميع بقاع الارض أصبحت يا فضيلة الأستاذ إمامهم جميعاً، وما يقرب من « ١٥ » ألف شاب من شباب الازهر الكل قد عقدوا أملهم عليك يا فضيلة الاستاذ في تنقية الدين مما علق به من أوشاب، وفي أن يساهم الازهر بنصيب موفور في نشر العلم وخدمة الانسانية والسلام. وأني على ثقة وقد أخلص الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في الدعاء اليك ومتع روحه الطاهرة بفراسته فيك في بدايتك ، على ثقة من أنك ستجمع قومك على الهداية للحق بفضل إخلاصك اليه .

* * *

كان الأزهر في أول عهده يتولى شئونه رجل يسمى مشرفاً ومعه أربعة قومة . وفي عهد المماليك كان يتولى أمره رجل من كبار الموظفين يسمى ناظراً منهم : الأمير ، الطواشي بهادر المقدم على المماليك السلطانية ولي نظره في سنة ٧٨٤ هـ . وهو الذي نجز مرسوم السلطان الملك الظاهر برقوق الخاص بجعل أبناء الأزهر أسرة واحدة يرث بعضهم بعضاً إذا مات أحدهم ولم يكن له وارث شرعي .

ومنهم الأمير سودوب القاضي حاجب الحجّاب ولي نظره سنة ٨١٨ هـ . وهو الذي طرق الجامع بعد العشاء في ليلة صيف . وكانت العادة قد جرت بمبيت كثير من الناس فيه ما بين تاجر وفقيه وجندي وغيرهم ، منهم من يقصد بمبيته البركة ، ومنهم من لا يجد مكاناً يأويه ، ومنهم من يستروح بمبيته هناك خصوصاً في ليالي الصيف وليالي شهر رمضان حتى يمتلىء صحنه وأكثر رواقاته ، فقبض على جماعة منهم وضربهم . وكان قد جاء معه من الأعوان والغلمان وغوغاء العامة ومن يريد النهب جماعة فحلّ بمن كان فيه أنواع البلاء ووقع فيهم النهب ، فأخذت فرشهم وعمائمهم، وفتشت أوساطهم ، وسلبوا ما كان مربوطاً عليها من ذهب وفضة . فعل هذا لما بلغه أن أناساً يبيتون به لأغراض غير شريفة [1]

(١) خطط المقريزي ج ٤ ص ٥٤ وما بعدها

استمرّ النظام على هذه الحال في الازهر يتولى شئونه ناظر ينتخب من كبار الموظفين . ولم يكن له رئيس علمي من أبنائه إلاّ في العهد التركي ابتداءً من عام ١١٠٠ هـ. ويسمى شيخ الازهر وهم : —

شيوخ الازهر

١ — الشيخ محمد عبد الله الخرشي المالكي . توفى سنة ١١٠١ هـ . نسبة الى بلدة يقال لها أبو خراش من البحيرة . وكان كريم النفس ، ورعاً، زاهداً ، وله شرح على متن خليل .

٢ — الشيخ محمد النشرتي ، مالكي ، توفى سنة ١١٢٠ وبعد موت الشيخ النشرتي هذا وقعت فتنة بالأزهر بسبب المشيخة والتدريس بالاقبغاوية ، افترق فيها الطلبة فرقتين: فرقة تريد الشيخ احمد النفراوي . وأخرى تريد الشيخ عبد الباقي القليني، ولم يكن حاضراً بمصر. فتصدر الشيخ النفراوي للتدريس بالاقبغاوية فمنعه القاطنون بها ، وحضر القليني فتعصب له جماعة النشرتي . وحضر أنصار النفراوي الى الجامع ليلاً مسلحين وأخرجوا جماعة القليني ، وكسروا باب الاقبغاوية وأجلسوا النفراوي مكان النشرتي ، فكبس جماعة القليني الجامع وقفلوا أبوابه وتضاربوا مع جماعة النفراوي فقتلوا منهم نحو العشرة وانفصلوا عن جرحى، وانتهبت الخزائن وتكسرت القناديل وانتهت هذه الحادثة بأن أمر الوالي بأن يلزم الشيخ النفراوي بيته،ونفي الشيخ شنن الى بلده واستقر القليني في المشيخة .

٣ — الشيخ عبد الباقي القليني . مالكي . توفى سنة ١١٢٣هـ

٤ — الشيخ محمد شنن . مالكي توفى سنة ١١٣٣ هـ وكان الشيخ شنن هذا أغنى أهل زمانه بين أقرانه

٥ — الشيخ ابراهيم موسى الفيومي. مالكي توفي سنة ١١٣٧ هـ وله شرح على العزية في الفقه في مجلدين .

وبعد الشيخ الفيومي انتقلت المشيخة الى الشافعية فتولاها .

٦ — الشيخ عبد الله الشبراوي . شافعي « توفى سنة ١١٧١هـ » وكان محدثاً عالماً في أصول الفقه . متكلماً شاعراً أديباً . وكان طلبة العلم في أيامه في غاية الادب والاحترام

وصار لأهل العلم في مدته رفعة ومقام ومهابة عند الخاص والعام ، ولم يزل يملي ، ويدرس ، ويفيد حتى صار إماماً عظيماً . وكان مقبول الشفاعة ، وهاداه الأمراء ، وعمر داراً عظيمة على بركة الازبكية بالقرب من الرويعي . ومن آثاره « شرح الصدر في غزوة بدر » و « مفائح الالطاف في مدائح الاشراف ».

وهو ديوان يحتوي على غزليات وأشعار ومقاطيع وقد ذهب الجبرتي وغيره الى أن مفائح الألطاف هذا كتاب غير الديوان وليس كذلك فانه يقول نفسه في مقدمة الديوان « وسميته مفائح الألطاف .... » وهو القائل [1] لهذه القصيدة العذبة التي تسيل عذوبة ورقة المشهورة على ألسنة بعض المغنين :

بحقك أنت المنى والطلب ... وأنت المراد وأنت الأرب
ولي فيك يا هاجري صبوة ... تحيَّر في وصفها كل صب
أبيت أسامر نجم السما ... إذا لاح لي في الدجى أو غرب
وأعرض عن عاذلي في هواك ... إذا نمَّ يا منيتي أو عتب
أمولاي بالله رفقاً بمن ... إليك بذل الغرام انتسب
فاني حسيبك من ذا الجفا ... ويا سيدي أنت أهل الحسب
ويا هاجري بعد ذاك الرضا ... بحقك قل لي لهذا سبب
فاني محبٌّ كما قد عهدت ... ولكن حبك شيءٌ عجب
متى يا جميل المحيا أرى ... رضاك ويذهب هذا الغضب
أشاع العذول بأني سلوت ... وحقك يا سيدي قد كذب
ومثلك ما ينبغي أن يصد ... ويهجر صبًّا له قد أحب
أشاهد فيك الجمال البديع ... فيأخذني عند ذاك الطرب
ويعجبني منك حسن القوام ... ولين الكلام وفرط الأدب
وحسبك أنك أنت المليح الكريم الجدود العريق النسب
أما والذي زان منك الجبين ... وأودع في اللحظ بنت العنب
وأنبت في الخد روض الجمال ... ولكن سقاه بماء اللهب
لئن جدت أو جرت أنت المراد ... وما لي سواك مليح يحب

(١) « ديوان الشبراوي » ص ٨ ، ٩

٧ — الشيخ محمد بن سالم الحفني الخلوتي شافعي توفي سنة ١١٨١هـ كان عابداً

٨ — الشيخ عبدالرؤوف السجيني نسبة الى سجين قرية من مديرية الغربية توفي سنة ١١٨٢هـ

٩ — الشيخ احمد بن عبد المنعم الدمنهوري نسبة الى دمنهور توفي سنة ١١٩٠هـ

١٠ — الشيخ احمد العروسي شافعي » » ١٢٠٨هـ

كان قد حصل خلاف شديد بين العروسي والعريشي . واضطرابات بين الطلاب .

يروى أن الشافعية اجتمعوا وعلى رأسهم الشيخ العروسي والشيخ السمنودي والشيخ حسن الكفراوي بعد تولية الشيخ العريشي وكتبوا عريضة للأمراء مضمونها أن تكون المشيخة لشافعي واتفقوا على تعيين الشيخ العروسي. ولما لم يقبل هذا الطلب ركبوا بأجمعهم ومعهم الشيخ الجوهري الى الامام الشافعي وباتوا بالجامع ليلة الجمعة وأخيراً طلبوا من مراد بك طلبات قائلين له ان البلد بلد الامام الشافعي وقد ذهبنا اليه وهو يأمرك بتنفيذ هذه الطلبات فان خالفت يخشى عليك[1] فأحضروا فروة وألبسوها للعروسي فأصبح شيخاً للازهر. وهو من منية عروس قرية من مركز اشمون جريس

١١ — الشيخ عبد الله الشرقاوي شافعي توفي عام ١٢٣٧هـ

وكان عهده من أكثر العهود اضطراباً وفيه كانت الحملة الفرنسية (ويعتبر من أعظم الشيوخ الذين أخذوا هذا المنصب)، وهو من الطويلة قرية صغيرة جهة العرين من مديرية الشرقية ، وبعده انقسم الشيوخ ، فبعضهم اختار الشيخ المهدي الكبير وكان شيخاً بالاسم لأنه لم يصدق على مشيخته وسرعان ما خلفه

١٢ — الشيخ محمد الشنواني من شنوان قرية بالمنوفية: كان شافعي المذهب وكان درسه بالجامع المعروف بالفاكهاني بجوار سكناه بخشقدم ، وكان مهذب النفس مع التواضع والانكسار والبشاشة لكل أحد من الناس . وكان يشمر ثيابه ويخدم نفسه ويكنس الجامع ويسرج القناديل . ولما اختاروه للمشيخة هرب الى مصر العتيقة فأحضروه قهراً عنه وقلدوه

(١) هذه الطلبات كانت عبارة عن فروة للشيخ العروسي ويكون شيخاً على الشافعية ويكون الشيخ العريشي شيخاً على الحنفية والشيخ الدردير شيخاً للمالكية « الخطط الجديدة لعلي مبارك باشا ص ٣٢ ج ٤ »

المشيخة ولم يترك ملازمة الجامع الفاكهاني كعادته ، وأقبلت عليه الدنيا فلم يحفل بها . وكان يتعلل بالمرض أشهراً ثم انقطع في داره الى أن توفى رحمة الله عليه وصلي عليه في الجامع الازهر في مشهد رهيب، ودفن بتربة المجاورين. وكان يجيد حفظ القرآن ويقرأ مع فقهاء « الجوقة » في الليالي، وله حاشية مشهورة على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرية

١٣ — الشيخ احمد العروسي توفي عام ١٢٤٥ هـ

١٤ — الشيخ احمد بن علي الدمهوجي توفي عام ١٢٤٦ هـ نسبة الى دمهوج قرية قرب بنها

١٥ — الشيخ حسن بن محمد العطار توفي عام ١٢٥٠ هـ

كان أبوه فقيراً عطاراً له إلمام بالعلم وكان يستخدم ابنه هذا في صغار شئون الدكان ويعلمه البيع والشراء فاختلف الى الجامع الأزهر خفية عن أبيه حتى قرأ القرآن وجدَّ في التحصيل على كبار المشايخ كالشيخ الصبان والشيخ الأمير . ولما دخل الفرنسيون مصر فرَّ الى الصعيد كجماعة من العلماء . ولما رجع اتصل بهم فكان يستفيد منهم ويفيدهم اللغة العربية وكان يقول : ان بلادنا لا بدَّ أن تتغير أحوالها ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها ويتعجب مما وصلت اليه تلك الأمة من المعارف والعلوم وكثرة كتبهم وتحريرها وتقريبها لطرق الاستفادة ثم ارتحل الى الشام وكان يقول الشعر دون اهتمام به كما هو عادة كثير من العلماء . ومن شعره :

اني لأكره في الزمان ثلاثة ما إن لها في عدّها من زائد
قرب البخيل وجاهلاً متفاضلاً لا يستحي وتوددا من حاسد
ومن البلية والرزية أن ترى هذي الثلاثة جمّعت في واحد

وارتحل الى بلاد الروم وأقام بها مدة وتأهل بها ثم عاد الى مصر وعقد مجلساً لقراءة تفسير البيضاوي كان يحضره أكابر المشايخ .

وكان عزيز مصر المغفور له محمد علي باشا يجله ويعظمه ويعرف فضله وله تآليف عديدة منها :

١ — حاشية على جمع الجوامع نحو مجلدين .

٢ — حاشية على الأزهرية في النحو .

٣ — حاشية على مقولات السجاعي .

٤ — حاشية على السمرقندية .

وله رسائل في الطب ، والتشريح ، والرمل ، والزايرجة وكان يرسم بيده المزاول النهارية والليلية .

١٦ — الشيخ حسن القويسني نسبة الى قويسنا توفي سنة ١٢٥٤ هـ
كان مع انكفاف بصره مهيباً جداً عند الأمراء وغيرهم .

١٧ — الشيخ احمد الصائم السفطي نسبة الى سفط العرفاء قرية جهة الفشن بمديرية المنيا توفي سنة ١٢٦٣هـ

١٨ — الشيخ ابراهيم الباجوري من الباجور بمديرية المنوفية توفي سنة ١٢٧٧هـ
كان قوياً في علمه ضعيفاً في ادارته وكان المرحوم عباس باشا الأول يزوره في درسه وبعد موته بقى الازهر مدة بلا شيخ بل بمجلس مؤلف من أربعة وكلاء تحت رياسة الشيخ مصطفى العروسي . وهم : الشيخ العدوي المالكي ، والشيخ الحلبي الحنفي ، والشيخ خليفة القاشني ، والشيخ مصطفى الصاوي الشافعيان . وكان هذا المجلس قد ألف لمباشرة أمور الأزهر بعد أن ضعف الشيخ الباجوري وكثرت حوادث الأزهر ولما كانت سنة ١٢٨١ هـ تقلد المشيخة

١٩ — الشيخ مصطفى العروسي كأبيه وجده الى عام ١٢٨٧ هـ . ولقد أبطل الشيخ العروسي كثيراً من البدع كالشحاذة بالقرآن وعزم على ادخال الامتحانات بالأزهر ففاجأه العزل عن المنصب فنفذها خلفه .

٢٠ — الشيخ محمد العباسي المهدي الحنفي . وهذا أول انتقالها للحنفية فسار فيها سيراً حسناً ودان له الخاص والعام من أهل الأزهر وقلت على يده الشرور فيه وكثرت في عهده المرتبات . وكان الخديوي اسماعيل يؤيده تأييداً قوياً وتقهقر وقتاً ما أمام الشيخ الامبابي في فتنة سنة ١٢٩٩ هـ ولكن سرعان ما عاد الى منصبه وظل فيها الى ٣ ربيع الأول سنة ١٣٠٤ هـ . فخلفه .

٢١ — الشيخ محمد الامبابي وكان خصماً قوياً لكل تجديد . وفي عام ١٣١٣هـ ترك منصبه فخلفه .

٢٢ — الشيخ حسونة النواوي الحنفي المتوفي سنة ١٩٢٥ ثم خلفه

٢٣ — الشيخ عبد الرحمن النواوي الحنفي في عام ١٣١٧هـ فتوفى بعد وقت قصير فخلفه

٢٤ — الشيخ سليم البشري المالكي وفي عام ١٣٢٣هـ خلفه

٢٥ — الشيخ عبد الرحمن الشربيني ، واستقال سنة ١٣٢٧هـ فعاد الى المشيخة

٢٦ — الشيخ حسونة النواوي للمرة الثانية ، واستقال في السنة نفسها فتولاها مرة ثانية
٢٧ — الشيخ سليم البشري، ولما توفى سنة ١٣٣٥هـ تولاها
٢٨ — الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي الى سنة ١٣٤٦هـ ، ثم خلفه
٢٩ — الشيخ محمد مصطفى المراغي ، الى أن استقال في سنة ١٣٤٨ هـ ، فالشيخ
٣٠ — محمد الاحمدي الظواهري . « توفى في ١٣ مايو سنة ١٩٤٤ » وعاد اليها
٣١ — الشيخ محمد مصطفى المراغي للمرة الثانية

نلاحظ أن الحنابلة لم يتعين أحد منهم شيخاً للازهر في تاريخه. وذلك راجع لقلتهم وأن النزاع قام على أشده غير مرة بسببها .

الشيخ محمد مصطفى المراغي

ولد الشيخ محمد مصطفى المراغي في اليوم التاسع من شهر مارس سنة ١٨٨١ في المراغة من أعمال مديرية جرجا بمصر العليا وحفظ القرآن الكريم بمكتب القرية وتلقى على أبيه بعض العلوم ثم التحق بالازهر ، واتصل بالأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فتقف نفسه عليه في دروس التفسير التي كان يلقيها بالرواق العباسي ، وأخذ العالمية من الدرجة الثانية في سنة ١٩٠٤ وفي اغسطس من هذه السنة جلس للتدريس بالأزهر ولم يطل به الدرس بل عين في نوفمبر من السنة نفسها قاضياً لمديرية دنقلا بحكومة السودان ، ثم قاضياً لمدينة الخرطوم. وفي سنة ١٩٠٧ استقال عائداً الى مصر لخلاف بينه وبين أولي الأمر فيها ، فعين مفتشاً للدروس الدينية بديوان عموم الأوقاف ، وفي الوقت نفسه عاد للتدريس في الجامع الأزهر . وفي سنة ١٩٠٨ عاد الى السودان قاضياً لقضائها بأمر صدر من خديوي مصر. وفي سنة ١٩١٩ عين رئيساً للتفتيش بالمحاكم الشرعية، ثم رئيساً لمحكمة مصر الكلية، ثم عضواً في المحكمة العليا، ثم رئيساً لها في ١١ من ديسمبر ١٩٢٣ وهو الذي وضع أساس القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٠ ووصل الثقافة الاسلامية بالثقافات الغربية بوساطة بعوث أرسلها من أبناء الأزهر الى بعض جامعات أوربا . وأبرز ميزة كانت في الاستاذ المراغي عليه رحمة الله هي اعتزازه بكرامته وكان مهاباً محترماً في جميع الأوساط . وأصدق وصف له سمعته من حضرة صاحب المعالي أستاذنا الجليل أحمد لطفي السيد باشا يوم شيعنا جنازة الشيخ قال : كان عليه رحمة الله منسجماً في كل شيء « عقله يوازي علمه حتى جسمه وهندامه » .

طلبة الازهر

ابتدأ الأزهر حياته العلمية في عهد العزيز بالله ابن المعز لدين الله بـ ٣٥ طالباً ، ويقدم لنا المقريزي إحصاءً يرينا أنهم بلغوا في عهد ناظره الأمير سودوب سنة ٨١٨ هـ (٧٥٠) طالباً ما بين مصريين وعجم وزيالعة . ويقدّم لنا علي مبارك باشا إحصاءً عن عدد الطلبة والمدرسين في سنة ١٢٩٣ هـ . بيانه كالآتي : —

٢٣٥ شيخاً ، منهم ١٤٧ شافعيًّا ، و١٩ مالكيًّا ، و ٧٦ حنفيًّا و ٣ حنابلة .

و١٠٧٨٠ طالباً ، منهم ٣٦٥١ شافعيًّا ، و٣٨٢٦ مالكيًّا ، و١٢٧٨ حنفيًّا ، و٢٥ حنبليًّا .

وتقدم لنا دائرة المعارف الاسلامية إحصاء عن سنة ١٩٠١ ، ١٩٠٦ كالآتي : —

سنة	شيوخ	طلبة
١٩٠١	٢٥١	١٠٤٠٣
١٩٠٦	٣١٢	٩٠٦٩

ويبلغ عدد الطلبة الآن في سنة ١٩٤٥ — سنة ١٩٤٦ (١٤٧١٤) بيانهم كالآتي : —

كلية اللغة العربية ١١٦٢ : في القسم العالي ٦٠١ ، وفي إجازة التدريس ٥٣٢ ، وفي تخصص المادة ٤٠

كلية الشريعة ٨٧٣ : في القسم العالي ٧١١ ، وفي إجازة القضاء الشرعي ١٢٢ ، وفي تخصص المادة ٤٠

كلية أصول الدين ٥٣٨ : في القسم العالي ٤٢٥ ، وفي أجازة الوعظ ٦٧ ، وفي تخصص المادة ٤٦

طلبة المعاهد الدينية الملحقة بالأزهر ١٠٤٠٧ بيانهم كالآتي :

٢٤٨٣ القاهرة ، ١٨٥٧ الزقازيق ، ١٨٥١ طنطا ، ١٢٤٦ فؤاد الأول بأسيوط ، ٨٥٩ شبين الكوم ، ٧٩٦ اسكندرية ، ٥٢٠ قنا ، ٤١٤ دسوق ، ٤٠٨ دمياط

منهم في الابتدائي ٥٧٢٩ ، والثانوي ٤٦٧٨

٨١٤ عدد طلبة الأقطار الشقيقة وغيرهم من مختلف البلدان الأخرى وأكثرهم في الكليات الثلاث وفي معهد القاهرة وفي القسم العام

٨٨٥ الطلبة المصريون في القسم العام بالقاهرة

٣٥ عدد طلبة القسم العام في معهد طنطا

١٤٧١٤ الجملة — ولو قسمنا ميزانية الازهر على عدد الطلاب لكانت النتيجة أن كل طالب يتكلف مبلغ ٢ر٤٧ ج تقريباً

خريجو الازهر في سنة ١٩٤٥ — ١٩٤٦

عدد	
٣٨	عالمية من درجة أستاذ
٢٢٢	عالمية مع اجازة التدريس
١٠٦	عالمية مع اجازة القضاء الشرعي
٣٥	عالمية مع اجازة الدعوة والارشاد
٤٠١	الجملة

ميزانية الازهر

أول مقدار مالي ثابت يمكن الابتداء منه في ميزانية الأزهر وقفية الحاكم بأمر الله التي وقفها في سنة ٤٠٠ هـ. عليه وعلى جامع المقس والجامع الحاكمي ودار العلم وكان صافي هذه الوقفية المشتركة يقسم على ستين سهماً للازهر فيها — على حد تعبير الوقفية — الخمس والثمن ونصف السدس ونصف التسع .

وهذه الوقفية تعطينا فكرة عن حياة الأزهر في ذلك العصر . لذلك ننشرها :

دينار	
٨٤	للخطيب
١٠٨	ثمن ١٣٠٠٠ ذراع حصر مضفورة لفرش هذا الجامع في كل سنة عند الحاجة ولثمن ١٠٠٠ ذراع حصر عيدانية تكون عدة عند الحاجة
١٢ ٣/٤	لما ينقطع من حصره
١٢ ٣/٤	ثمن ثلاثة قناطير زجاج وفراخها
١٥	ثمن عود هندي للبخور في شهر رمضان وأيام الجمع مع ثمن الكافور والمسك وأجرة الصانع
٧	ثمن نصف قنطار شمع

دينار

٥ لكنس الجامع ونقل التراب وخياطة الحصر وثمن الخيط وأجرة الخياطة

١ ثمن مشاقة لسرج القناديل

١/٢ ثمن فحم للبخور عن قنطار واحد .

١/٤ ثمن ملح للقناديل

١/٢ ثمن سلب ليف وأربعة أحبل وست دلاء

١/٢ ثمن خرق لمسح القناديل

١ ١/٤ ثمن ١٠ قفاف للخدمة و١٠ أرطال قنب لتعليق القناديل وثمن ٢٠٠ مكنسة لكنس هذا الجامع .

٣ ثمن أزيار نخار مع أجرة حمل الماء .

٣٧ ١/٣ ثمن زيت وقود هذا الجامع راتب السنة ١٢٠٠ رطل مع أجرة الحمل .

٥٥٦ ١/٢ لأرزاق المصلين يعني الأئمة وهم ثلاثة . وأربعة قومة و١٥ مؤذناً منها لكل امام ديناران وثلثا دينار وثمن دينار في كل شهر من شهور السنة . والمؤذنون والقومة لكل رجل منهم ديناران في كل شهر .

٢٤ للمشرف على هذا الجامع في كل سنة .

١ لكنس المصنع بهذا الجامع ونقل ما يخرج منه من الطين والوسخ .

٦٠ لمرمة ما يحتاج اليه هذا الجامع .

٨ ٥/٦ ثمن ١٨٠ ١/٢ حمل تبن جارية لعلف رأسي بقر المصنع الذي لهذا الجامع .

٤ لمخزن يوضع فيه التبن بالقاهرة .

٧ ثمن فدانين قرط لرأسي البقر المذكورين في السنة .

١٥ ١/٢ لأجرة متولي العلف وأجرة السقاء والحبال والقواديس وما يجري مجرى ذلك .

١١ لأجرة قيم الميضأة « ان عملت بهذا الجامع » .

٢٤ لمؤنة الناس والسلاسل والتنانير والقباب التي فوق سطح الجامع .

وفي عام ١٨٧٥ م بلغ الايراد السنوي ٢٧٥٦٤٦١٤ غرشاً تركيًّا . وبلغ المنصرف ٣٩٠٨٤٤٢٨ غرشاً . وورد في تقرير رسمي أن جملة ايراد عام ١٨٩٢ كان ٤٣٨٢ جنيهاً انجليزيًّا وأن الجراية اليومية كانت ١٠٠٠٠ رغيفاً .

وايراد عام ١٩٠١ ـ ١٩٠٢ م كان ١٤٠٠١ جنيهاً انجليزيًّا . بيانه كالآتي :

٦٦١١ جنيهاً قيمة الاعانة التي تدفعها وزارة المالية و٥٧٥٧ جنيهاً من ديوان الأوقاف و ١٦٣٢ جنيهاً ايراد الأروقة المختلفة .

وكانت الجراية التي تصرف يوميًّا ١٣٥١٠ رغيفاً

وميزانيته لسنة ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ م بلغت ٣٤٢٦٠٠ جنيهاً مفردة كالآتي :

جنيه		جنيه
٣٤٢٦٠٠	الايرادات	
	أوقاف الأزهر والمعاهد	٢٦٢٠٦
	اعانة وزارة الأوقاف	٢١٢٠٨
	من المالية	٢٧٣٦٠٤
	ايرادات أخرى	٢١٤٩٢

وبلغت الميزانية في سنة ١٩٤٤ — ١٩٤٥ مبلغ ٦٩٥٧٨٠ جنيه مفردة كالآتي : ـ

٣٨٤٠٠٠	ماهيات ومرتبات
١٧١٦٧٣	مصروفات عمومية
٩١٠٠	أعمال جديدة
٦٠٠٧	نشر الثقافة الاسلامية في البلاد النائية والعناية بالبعثات الوافدة الى الأزهر
١٢٥٠٠٠	اعانة غلاء المعيشة

مكتبة الازهر

أنشئت سنة ١٨٩٧ وابتدأت بـ ٧٧٠٣ كتاباً منها ٦٦١٧ بطريق الاهداء و١٠٨٦ بطريق الشراء وعدد فنونها يومئذ ٢٧ فنًّا وهى : المصاحف . القراءات . التفسير الحديث . الأصول . النحو . الصرف . البلاغة . الفقه على المذاهب الأربعة . المجاميع . التوحيد . المنطق . التاريخ . التصوف . الأدب . المديح . الآداب والمواعظ والفضائل . الاحزاب والأوراد والأدعية . الوضع . آداب البحث . العروض . الفلك . الميقات . مصطلح الحديث . الفنون المنوعة . الحساب والهندسة . اللغة . الطب . وبلغت فنونها في سنة ١٩٤٣ ـ ٥٨ فنًّا وبلغ عدد مجلداتها ٩٠٠٧٥ مجلداً موزعة كالآتي : ـ

الفن	العدد
المصاحف	٣٩٤٤
علوم القرآن	١٠٠
القراءات	١٣٧٧
التفسير	٥٢٧٧
الحديث	٨٦٢٤
المصطلح	١٠٣
الأصول	٣٤٩٤
الفقه العام	٩٦٤
فقه حنفي	٦٩٤٨
فقه شافعي	٤٨٧٩
فقه مالكي	٤١٣٠
فقه ابن حنبل	١٦٩٨
فقه الشيعة	٢٧
المجاميع	١٥٩٣
التوحيد	٣٨٣٨
البلاغة	٢٥٥٤
النحو	٤٥٣١
الصرف	٩٨١
الآداب والفضائل	١٨٢٩

الفن	العدد
الأدب	٥٩٨٤
اللغة	١١٨٢
التصوف	١١٨٨
التاريخ	٥٠٨٦
المنطق	١٤٩٩
فنون منوعة	٣١٢٢
الأدعية والأوراد	١١٢٧
الحكمة والفلسفة	٤٦٦
الفلك	٤٢٨
تقويم البلدان	٣٠٣
القوانين واللوائح	٦٤١
الحساب	٥٠٥
الطب	٦٣٢
الميراث	٦٣٣
أخلاق وتربية واجتماع	٦٤٦
أدب البحث	٢٣٧
العروض	٢٥١
الوضع	١٤١
اللغات الاجنبية	٢٧٢

الفن	العدد
اللغات التركية	٢٣٠
املاء وخط	١٠٠
صور ورسوم	١٣٤
كيمياء وطبيعة	١٢٢
التجارة	١٩
الهندسة	٦٧
الجبر	٣٤
الزراعة	٦٦
حكمة التشريع	٢٥
اقتصاد سياسي	٦٧
هيئة	٢٠
فراسة وكف	١٧
تعبير الرؤيا	٥٤
شرائع غير اسلامية	٤٢
طبوغرافيا	٣
محفوظات	٦٣٩٥
موسيقى	٧
مسك دفاتر	٣
حرف ورمل	٥٠

وفي المكتبة نوادر قل أن توجد في مثلها ففي المصاحف قطعتان من مصحف مخطوطتان سنة ٤٦٥ هـ.

وفي القراءات «الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة كتب في سنة ٥٥٧ هـ.

وفي التفسير: تفسير غريب القرآن لاسجستاني كتب سنة ٥١٤ هـ.

وفي الحديث: غريب الحديث لأبي عبد القاسم بن سلام المتوفي سنة ٣١١ هـ.

وفي فقه أبي حنيفة: عمدة الطالبين لعبد الباسط الشهير بابن الوزير بخط المؤلف سنة ٦٠٣ هـ.

وفي التاريخ: رسوم دار الخلافة لأبي الحسن بن الحسن الصابي كتب ٤٥٥ هـ.

وأنفس المكتبات الخاصة بالمكتبة الأزهرية مكتبة سليمان باشا أباظه وقد أهداها ورثته الى الأزهر في سنة ١٨٩٨ م عملاً بمشورة الأستاذ الامام محمد عبده. ويستأثر فنا التاريخ والأدب بغالب كتبها وتمتاز بكثرة المخطوطات وعدد مجلداتها ١٤٨٤ مجلداً وبها جملة طيبة من مطبوعات أوربا. والمكتبة الازهرية العامة من أشهر المكاتب في العالم وهي ثانية دور الكتب في مصر من حيث عدد ما فيها من الكتب وخاصة من الكتب النادرة (١)

(١) اقتبست هذا الاحصاء من كلمة لحضرة صديقي فضيلة الاستاذ أبو الوفا المراغي أمين المكتبة

الاتجاه الحديث للازهر

وكيف ينبغي أن يكون

إن رسالة الأزهر بوصف كونه جامعة دينية رسالة روحية تهدف أولاً وقبل كل شيء الى إحياء القيم الروحية ، وتوليد الميول النافعة في الانسان وقمع الميول الفاسدة فيه ، فغايته من التعليم غاية خلقية ، ومقياسه الذي ينبغي أن يكون هو الخلق لا العلم، فقيمة المرء خلقه لا علمه ، وعدته التي تلزمه للنجاح في الحياة في خلقه لا في علمه ، ولا يختلف اثنان في أن الرجل ذا الهمة ، والاخلاص ، والثبات ، والاعتماد على النفس ، أنفع للجمعية الانسانية من ألف رجل ورجل جردت نفوسهم من هذه الصفات ، وإن ملئت عقولهم بشتى المسائل والنظريات ولست أقصد من ذلك أن يوجه الأزهر كل جهوده إلى تربية النفوس فحسب ، وترك العقول فارغة من العلم ، كلاَّ فلا بد للأزهر من الطريقين طريق الدين وطريق العلم ، وإنما أقصد أن طريق الدين هو الأصل ، وينبغي أن يكون دائماً هو الأصل ، والثاني تابع أو خادم للطريق الأول . فان المعتقدات الدينية إذا كانت تقود الأفكار والمشاعر وتهدي المرء في حركته إلى الخير ، وتمنع الأمم من الوقوع في الهمجية ، وتربط بين أفرادها برباط الانسانية ، فان العلم يقرر الحقائق ولا غنى للرجل الكامل عن الطريقين كليهما .

وإذا كان الأزهر في الماضي قد أدى رسالته على نحو يتلاءم مع ذلك العصر فهل هو يؤديها الآن على النحو الذي ينبغي أن يكون ؟

ننظر إلى واقع الأمر فيه . فهل هو أولاً أرضى أبناءه فاطمأنوا اليه وركنوا إلى وضعه الحالي فبشروا بجيل له ميول ناهضة ، ينكر ذاته ولا يخدع نفسه ، ويتخذ الصبر ، والتعاون والاستقلال سبيلاً للنجاح في هذه الحياة . أم هم غير راضين عن حياتهم التي يحيونها فيه الآن على هذا النحو ؟

قمت بشبه استفتاء بين الطلاب في هذه المسألة ، فكان إجماع منهم على أنهم غير راضين عن هذه الحياة . ولماذا ؟ لأنهم أولاً : يشكون في المقابل لهذه الحياة ، أو هم يشعرون بأنهم

أقل من غيرهم قيمة في سوق هذه الحياة ، ومن الشك في المقابل لهذه الحياة نبتت فكرة المطالب التي يتقدمون بها بين آونة وأخرى الى ولاة الأمور في الأزهر وفي غير الأزهر يقصدون من ورائها فتح وظائف جديدة يهجرون من أجلها الدراسة بين آن وآخر . ويؤلمني أن أصرح أن هذه المطالب كلها مادية حتى المطلب الخاص منها بتعليم الدين في المدارس يشفعونه بأن تقوم فرقة معينة بتدريسه . وهنا أحب أن أقول للطلاب ان مهمة الأستاذ والطالب التعاون في سبيل الحقيقة وهذه حقيقة . وليس الذنب ذنب الطلاب في هذا الاتجاه المادي لأن واقع الأمر أن سياسة التعليم من جهة ، والظروف المحيطة بالفرد من جهة أخرى جعلت طلب العلم للعلم أصبح الآن غير موجود اللهمّ إلاَّ لشخص اطمأن على الظروف المحيطة به في هذه الحياة أو لشخص موهوب وليس الكل هذا أو ذاك .

من الناس من يقول : إن طلبة الأزهر في سنة ١٩٠١ كانوا «١٠٤٠٣» وميزانيته في هذه السنة نفسها كانت ١٤٠٠١ جنيهاً انجليزيًّا . وطلبته الآن حسب احصاء نوفمبر سنة ١٩٤٥ ١٤٧١٤ وميزانيته في هذه السنة ١٩٤٥ — ١٩٤٦ بلغت ٦٩٥٧٨٠ جنيهاً مصريًّا . فكيف لا يرضى الأزهريون عن هذه الحياة مع هذا التقدم المادي . أليس طلبة الازهر فيما مضى كانوا أكثر رضا منهم اليوم ؟ يقولون هذا ويشفعونه بأن الازهر سوف لا تنقضي له مطالب ما دام يقبل من الطلاب أكثر من العدد المطلوب للوظائف التي يغذيها . مثلاً . خرَّج الازهر في (سنة ١٩٤٤ — ١٩٤٥) ٤٠١ يحملون عالمية مع درجة أستاذ . وعالمية مع إجازة التدريس . وعالمية مع اجازة القضاء الشرعي . وعالمية مع اجازة الدعوة والارشاد . فهل الوظائف التي يغذيها الأزهر تحتاج لمثل هذا العدد سنويًّا ؟ الواقع لا . ومعنى هذا إنا في جيل واحد نخرج جيشاً من المتعطلين يكون مصدر قلق لأولي الأمر في الأزهر وفي غير الأزهر ، بل مصدر قلق لهم ولغيرهم جميعاً ، يقولون هذا ونسوا ان هذه المقارنة أولاً لا تصح لأن الظروف التي تحيط بالفرد الآن ليست هي الظروف التي كانت تحيط بزميله فيما مضى .

على أن هذا النمو في ميزانية الأزهر ليس مقصوراً عليها وحدها بل مع هذا النمو لا يزال الأستاذ في كليات الأزهر في الدرجة الخامسة وما دونها ومنهم القليل في الدرجة الرابعة بينما الأستاذ المصري زميله في غير الأزهر في الدرجة الأولى أو درجة مدير عام .

ثانياً : وأما أن الأزهر يأخذ أكثر من العدد اللازم للوظائف التي يغذيها فمن هنا تأتي أكبر فائدة له .ذلك أنه يؤمه كثير ممن لم يستطيعوا الانفاق على أنفسهم في المدارس التي قدمت ميزة المال . أما هو ففتح لمن حرمها صدره فتعليمه لهم حسنة من حسناته التقليدية فهو بذلك دائب العمل على التقريب بين الغني والفقير لأنه يرتفع بطبقة الى طبقة أخرى تليها ولو لم يكن للأزهر إلاَّ أنه يخدم الأمة بهذه الحركة لكفاه بها فخراً فهو دولاب عمل متحرك للتقريب بين الطبقات .

ويعلل الطلاَّب أيضاً عدم رضاهم عن هذه الحياة التي يحيونها الآن في الازهر على هذا الوضع بأن أساليب بعض الكتب الازهرية التي يقرر عليهم دراستها والتي هي مصادرهم فيما يدرسون ويقرأون أصبحت لا تلائم روح هذا العصر ، ذلك أنها تعني أول ما تعني وتقصد أول ما تقصد صناعة لفظية الغرض منها حل تراكيب الجمل وما تعطيه هذه الجمل وفهم الالفاظ وما تعطيه هذه الالفاظ . والبعد في التأويل ، والتعليل ، والاعتراض ، والجواب الى حد بعيد ولم يعد هناك وقت يحتمل أن يضيع في هذا الاخذ والرد ، وهذا الجدل والنقاش الذي لا طائل تحته ولا فائدة منه . ولست معهم في هذا التعليل على إطلاقه . فهذه الصناعة اللفظية هي ميزة الازهر ، وينبغي أن تظل ميزة الازهر على شرط أن تكون وسيلة لا غاية . فان هذه التي يسمونها الصناعة اللفظية تخرج رجلاً دقيقاً بكل معنى الدقة عند تخير الالفاظ ، قويًّا بكل معنى القوة على استنباط المعاني ، قادراً على النقاش والجدل ، فهي من هذه الناحية أعتقد أنها تكون ملكة إذا مستها العلوم الحديثة كانت ملكة جبارة نادرة المثال ، إنما الذي ينبغي أن يعلل به شكوى الطلاب من هذه الكتب هو أن بعض مؤلفيها رضوان الله عليهم قد غلوا في هذه الناحية التي يسمونها الصناعة اللفظية ، وتأثروا في كتبهم بأشياء أصبح لا يقرها هذا العصر ، وان عرض ما فيها من معلومات هو بأسلوب فيه روح العصور الماضية ولكل عصر روح . ولعلّ ذلك كان هو الباعث للأستاذ الامام الشيخ محمد عبده على كلمته المشهورة في وصف هذه الكتب فقد قال :

« لا يمكن لهذه الامة أن تقوم ما دامت هذه الكتب فيها . ولن تقوم إلاَّ بالروح التي كانت في القرن الأول ، وهي القرآن . وكل ما عداه فهو حجاب قائم بينه وبين العمل

والعلم [١] » والأمثلة كثيرة وكثيرة على هذا الذي ذهبنا اليه . خذ لذلك مثلاً .

كتاب السلم في المنطق للأخضري المتوفي سنة ٩٤١ هـ وهو كتاب يدرس لطلاب السنتين الأولى والثانية من القسم الثانوي نراه يأتي فيعقد فصلاً في جواز الاشتغال بالمنطق يقول فيه :

والخلف في جواز الاشتغال ... به على ثلاثة أقوال
فابن الصلاح والنواوي حرّما ... وقال قوم ينبغي أن يعلما
والقولة المشهورة الصحيحة ... جوازه لكامل القريحة

ثم يأتي الملوي في شرحه على السلم فيقول في توجيه تحريم الاشتغال بالمنطق يقول في شرحه الصغير ما نصه : « ووجه تحريم هؤلاء — يشير إلى ابن الصلاح والنواوي — إياه انه حيث كان مخلوطاً بكفريات الفلاسفة يخشى على الشخص إذا خاض فيه أن يتمكن من قلبه بعض العقائد الزائغة كما وقع ذلك للمعتزلة » إذاً هو يعطي الطلاب فكرة سيئة عن المعتزلة ولماذا ؟ لأنهم خاضوا في الفلسفة ولمن وأين يكون هذا الكلام في معهد أصبح يعطي أجازات عليا في الفلسفة وأصبح يرسل أبناءه الى أوربا للتخصص في الفلسفة . هذا كلام إن صحّ أن يقال في عصر المؤلف لا يصح أن يضيّع الطلاب فيه وقتهم الآن .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن هذه الكتب قد ألفت وشرحت من زمن بعيد ونقل مؤلفوها عن بعضهم أشياء أثبت البحث الحديث أو التأليف الحديث خطأها . مثلاً الشيخ عمر النسفي في كتابه العقائد النسفية وهو كتاب في التوحيد يدرس لطلبة كلية أصول الدين يقول في أول الكتاب « حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافاً للسوفسطائية »، فيأتي سعد الدين التفتازاني شارح كتاب العقائد هذا فيقسم السوفسطائية إلى فرق ثلاث عندية ، وعنادية ، ولاأدرية ، ثم يأتي الخيالي ، وعبد الحكيم ، والعصام فيوافقونه على هذا التقسيم .

مع أن فرقة الشكيين المعبر عنها هنا باللاأدرية لم تكن من فرق السوفسطائية، ذلك أن الشك لم يكن كمذهب إلاّ من عهد بيرون أو فرغن كما ينطق في اليونانية وكان يدعى

(١) تاريخ الاستاذ الامام للسيد رشيد رضا ج ٢ ص ٦٤٤.

فُرْغن الأليسي نسبة إلى بلده — ولد سنة ٣٦٠ وتوفي سنة ٢٧٠ ق م — نعم قال السوفسطائيون بالشك كما قال به الكلبيون أيضاً ولكنه عرف عندهم كطريقة من طرق البحث لا كمذهب فلسفي فيبدأ الشك كمذهب بيرون . ولا أريد أن أستطرد في ضرب الأمثال فهي كثيرة وكثيرة في مختلف الكتب الأزهرية وبخاصة في كتب التفسير والفقه .

وفيما عدا هذا وذاك من الغلو فيما يسمونه الصناعة اللفظية ومن التأثر في هذه الكتب بروح غير روح هذا العصر سواء في طريقة عرض المعلومات أو في غيرها، فيما عدا هذا وذاك، فهذه الكتب ثروة لا تعادلها ثروة وكنز غنى عرض ما فيه غيرنا بأسلوب جديد وروح جديد فنفعوا وانتفعوا وأفادوا واستفادوا وليس علينا في هذه الناحية إلاّ أن نجاري روح العصر فنعرض بضاعتنا بروح عصرنا نحن ، لا بروح عصورهم هم رضوان الله عليهم وجزاهم خير الجزاء

إن كتب الدين فيها كثير من الأوشاب التي علقت به وليست منه في شيء ، وعلينا تنقية هذه الأوشاب ليعيد الأزهر للدين جدته ويسره ، ويرفع عنه ذلك الحرج الذي نفر الناس منه أو كاد . إن القرآن الكريم الذي هو الأصل وهو الدوحة طغت عليه هذه الصناعة اللفظية ، وطغى عليه ذلك البعد في التأويل والتخريج . وهذه الناحية ناحية تنقية الدين مما علق به وليس منه ، وعرض بضاعتنا بأسلوب جديد وروح جديد يتمشى مع العصر ولا يتعارض مع ما ورثنا من عرف ، هذه الناحية هي ما ينبغي المبادرة بها والعمل على تنفيذها ليخرج الطالب وفيه روح عصره الذي يعيش فيه .

وهناك ناحية أخرى أضرّت بالتعليم ضرراً بليغاً لا في الأزهر فحسب ، بل في الأزهر وفي غيره، تلك هي الظروف السياسية التي أحاطت بالطلاب في السنين الأخيرة ولا تزال تحيط بهم حتى الساعة .

إن اشتغال الطلاب بالسياسة ألهاهم عن علومهم الأمر الذي صبح يشكو منه الكل أ . لا الأزهر فحسب . وهنا لا أقصد أن يحرّم على الطلاب الاشتغال بالسياسة فهذا حق من حقوقهم ما دام لهم وطن يعيشون فيه . وانما أقصد أن أقول : إن تقاتل الأحزاب في ربع القرن الأخير جرّ الطلاب الى اقتحام ميدان الصراع الحزبي هذا الذي جرّ الى استخدامهم ، ومما لأتهم ، وارضائهم حتى على حساب العلم ، فكانت النتيجة ما نسمع ونرى مما لا يحتاج الى اظهار ، اللهمّ الاّ اظهار الأسى والأسف.

هذا ونبتت في الأزهر أخيراً ظاهرة أضرت بسير الدراسة فيه كل الضرر ، ونزلت بالمستوى العلمي الى حيث أصبح يشكو منه كل من يهمه أمر هذا المعهد ، تلك هي بدعة الامتحان في المقروء لا في المقرر ، هذه الظاهرة أفسدت العلاقة بين الأستاذ والطالب ، وعودت الطلاب الخروج على النظام بهجرهم الدروس قبل أن ينتهي العام الدراسي حتى لا يطول عليهم هذا المقروء . وبلغ من أمر هذه الظاهرة أن الطلاب أصبحوا يتضامنون على الأستاذ الذي لا ينزل على رغبتهم فيقف في مادته عند حد يعينونه له حتى أوشك الأمر أن ينقلب فوضى طاغية وأن يصير أمر الأزهر في غير أيدي أولي الأمر .

إن هذه الظاهرة يعترف الطلاب أنفسهم أنها نبتت في جو السياسة وهي من غير شك لم تكن لتعيش لولا هـذا الجو . وهذه الظاهرة ليست في صـالح الطلاب وإن بدا لهم في ظاهرها الرحمة ، وهي طبعاً ليست بعد ذلك في صالح شيء ما . فمن مصلحة الطلاب ومن مصلحة العلم ، ومن مصلحة الأخلاق أن يقضى قضاءً مبرماً على هذه الظاهرة الخطيرة مهما كان الأمر . ولقد أحسن صنعاً حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق فلقد أعلن عقب توليه رئاسة الأزهر في منشور دوري أن الامتحان سوف يكون في المقرر لا في المقروء ، وهذه خطوة طيبة نرجو أن تتبعها خطوات حاسمة .

هذه العوامل مجتمعة التي هي شك الطلاب في المقابل لهذه الحيـاة ، وعدم رضاهم عن أساليب بعض الـكتب الأزهرية ، مضافاً الى ذلك هذه الظروف السياسية التي تحيط بالطلاب وتكتنف الطلاب من كل جانب ، هذه العوامل مجتمعة أنتجت ما نرى الآن في الأزهر من تضامن ضد الرؤساء ، ومن تضامن ضد الأساتذة إن لم ينزلوا على رغبتهم فيما يقررون وفيما يشاءون . واصلاح حال الأزهر ، أو توجيه الأزهر وجهة طيبة في هذا العصر الذري بمعالجة هذه العوامل من جهة إرضاء شعورهم بمساواتهم بغيرهم ، وبفتح وظائف جديدة لهم ، وتهذيب أساليب بعض الـكتب الأزهرية ، وغل يد السياسة عن التدخل في أمر الأزهر . وحث الأساتذة على مضاعفة جهودهم مع الطلاب . ان أفاد كل ذلك الآن وهو مفيد قطعاً فلن يرضي أطماع الأزهر في المستقبل . ذلك أن الفكر الأزهري قد تحرر من قيود غلّ بها من قبل ، فتقدم تقدماً كبيراً أصبح لا يشبعه هذا النظام التعليمي الموجود الآن في الأزهر ، وهذه الناحية ناحية

تحرر الفكر الأزهري وتقدمه في الأزهر، مضافاً اليها ما وصل اليه العالم من تقدم، هذا التقدم الذي يقرأ عنه الأزهريون كل يوم، ويشعرون ويحسون به في كل وقت، ويرون بأعينهم بعض مظاهره دائماً. هذا وذاك هو ما ينبغي أن يوجه الأزهر على ضوئه فأساس توجيه الأزهر أو أساس إصلاح الأزهر هو مسايرة التقدم الفكري وربطه بالأمة، بل ربطه بالعالم. إن ربط الأزهر بالأمة بل ربطه بالعالم هو الأساس الذي ينبغي أن يبنى عليه توجيه الأزهر، وكل ما عدا ذلك فهو علاج وقتي لا ينفع. فليست المسألة مسألة وظائف تفتح، أو وظائف تقلد، بل هي وراء ذلك وفوق كل ذلك. وأحب أن أتعجل هنا القول بأن الدين الاسلامي يجب أن يدرس كما هو، وأن يفهم كما هو، وأن كل ما سمع عن الرسول صلوات الله عليه وصح نسبته اليه ينبغي الوقوف عنده بلا زيادة ولا نقصان، ومن لم يقف فقد تعدى على الشرع وخرج عن الحق.

أما أن الفكر الأزهري قد تقدم، وقد تحرر من قيود غل بها من قبل فليس أدل على ذلك من شهادة رجلين اثنين من أعلام الفكر وكبار المشتغلين بأمر التربية والتعليم في هذا البلد وهما حضرة صاحب المعالي أستاذنا الجليل أحمد لطفي السيد باشا. وحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر.

كان معالي احمد لطفي السيد باشا في العام الماضي رئيساً للجنة امتحان الفلسفة لطلبة تخصص المادة في كلية أصول الدين بالأزهر. وقد عينت لجنة الامتحان لكل طالب موضوعاً يحاضر فيه لمدة ساعة تقريباً وكانت الموضوعات التي حاضر فيها الطلاب هي: —

١ — أصول المعتزلة وأثرها في تطور علم الكلام.
٢ — فلاسفة الاسكندرية وأثرهم في توجيه التفكير الاسلامي.
٣ — الغزالي بين الفلسفة والتصوف.
٤ — وحدة الوجود بين الفلسفة والتصوف.
٥ — القياس بين المناطقة والفقهاء.
٦ — الالـه عند أرسطو وتأثر فلاسفة الاسلام بذلك.

وبعد أن انتهى الامتحان قام معاليه فقال:

« أنا أحمد هذه الفرصة التي هيأها لي صديقي الأستاذ الامام الشيخ المراغي لأغتبط بلقياكم، وأرى عن كثب تقدم الازهر هذا التقدم الباهر الذي لمسته في هذه الجلسات الست

وأسارع الى تهنئتكم وأساتذتكم وتهنئة صديقي الامام بهذا التقدم الكبير .... الى أن قال :

أما اليوم فإنا نتكلم عن آله «أرسطو» وهو كما كان يرى فكرة لم يخلق شيئاً ولا يعلم شيئاً أصلاً إلاّ ذاته ... الخ فما معنى هذا: معناه أن الأزهر انتقل من حال الى حال كبقية كائنات العالم ولكم أن تسموا هذا استحالة أو نموّا كما تريدون ، ولكنه ليس فساداً طبعاً. الى أن قال : لقد أكثرت فأكرر تهنئتي لكم بإمامكم ومحاضريكم وأساتذكم وبتقدمكم الذي جعلنا نتكلم اليوم في إله « أرسطو » .

وقال فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق وهو يقدم كتاباً لصديقي وزميلي فضيلة الشيخ محمد يوسف موسى تحت عنوان : «تطور الجوّ العلمي في الازهر » قال :

« منذ أكثر من عشرين عاماً كنت سكرتير مجلس الأزهر الأعلى والسكرتير العام للمعاهد الدينية ،وكنت بحكم منصبي متصلاً بمناهج التعليم في الأزهر وما يقرر تدريسه من الكتب وأذكر أنه في ذلك العهد كان قرر تدريس كتاب « تهذيب الأخلاق » لابن مسكويه في بعض السنين الدراسية،وسرني ذلك لأني كنت أحب أن تجد كتب الفلاسفة الاسلاميين منفذاً الى المعهد الاسلامي الأكبر . ولم يمض زمن طويل حتى علمت أن المدرسين والطلاب شكوا من تدريس رسالة ابن مسكويه بحجة أنها تتضمن من الآراء والمذاهب ما يعتبر فلسفة ينبغي أن ينزّه عنها الأزهر الشريف ، وحلّ محل كتاب «تهذيب الأخلاق » رسالة صنعها بعض مدرسي الأزهر تتضمن آثاراً وحكماً ومواعظ تحث على مكارم الأخلاق وتنهي عن مساويها،وحاولت جهدي أن أدافع عن ابن مسكويه وعن كتابه فلم يجد مسعاي شيئاً.وكادت تثار حول سمعتي الدينية شبهات كان لها حينذاك خطرها .. وقد اطلعت أخيراً على كتاب الاستاذ الفاضل الشيخ محمد يوسف موسى اسمه « تاريخ الأخلاق » ... والكتاب عرض طيب لتاريخ الأخلاق في الشرق القديم ، وعند الاغريق في العصور المختلفة ، وفي القرون الوسطى ، وفي الفلسفة الحديثة،وفي الاسلام عند الفلاسفة وغير الفلاسفة .

عادت بي الذاكرة حين راجعت فصول هذا الكتاب الذي يؤلفه مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين — الى ما كان من حديث ابن مسكويه فأدركت مبلغ ما حدث من التغيير في الجوّ العلمي الازهري في أقل من ربع قرن من الزمان ، ورجوت أن يكون ذلك آية من آيات

الحربة الفكرية في البحث العلمي التي التمس المصلحون شيئاً منها للازهر الشريف منذ زمان، ووجدوا في سبيل مسعاهم أذًى كثيراً » انتهى كلام فضيلة الأستاذ .

وهذا التقدم الفكري جاء نتيجة لنظام الأزهر الجديد الذي بذر بذرته السيد جمال الدين الافغاني وتعهده من بعده الاستاذ الامام محمد عبده والمرحوم الشيخ المراغي ويتعهده الآن فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق الذي نرجو له من قلوبنا كل توفيق في السير بالأزهر الى الامام حتى يسير مع قافلة الزمن

وهذا التقدم الفكري اتجاه طيب يبشر بمستقبل حسن وجاء بفضل ربط ثقافته القديمة بالثقافات الحديثة، فأخذ ينتج ويستقل بنفسه شيئاً فشيئاً في تدريس العلوم التي أدخلها فيه النظام الأخير، فأصبحنا نرى الكتب والرسائل توضع في بعض العلوم التي تدرس فيه بلغة جديدة ، وأسلوب جديد في تاريخ الأخلاق وفي تاريخ التشريع وفي الفلسفة ، والتاريخ وعلوم البلاغة الى غير ذلك . وأصبح فيه من يجيد الانجليزية والألمانية والفرنسية وأصبح فيه من يضع الرسائل عن الشخصيات الأجنبية، فمثلاً صديقي الدكتور محمود حب الله وضع رسالته Spinoza's Conception of Human Individuality عن « سبينوزا وهي رسالة تبين أن للانسان حقيقة واستقلالاً في نظر هذا الفيلسوف على الرغم مما قاله العلماء السابقون جميعاً من أن فلسفة سبينوزا تنفي تلك الحقيقة وهذا الاستقلال وهذا أول عمل من نوعه في تاريخ الأزهر. وأصبحنا نسمع صوت أبنائه في المجلات والصحف في أبحاث قيمة . وكل ذلك بفضل هذا التوجيه الطيب الذي وجهه إليه المغفور له الامام المراغي شيخه السابق .

وهذه باكورة طيبة غير أني لا أرى فيه الآن من يشتغل بتأليف الكتب المطولة في الشريعة مثلاً مأخوذة من منابعها الأصلية، وفي اللغة وعلوم البلاغة، وغيرها بأسلوب جديد وروح جديد يناسب روح العصر ويسد حاجتنا اليه .

***

الأزهر ذو نواحٍ ثلاث : خلقية ، وإدارية ، وعلمية . أما الادارية فليس فيها سوى أن تسير سياسته على أساس الحق والعدل. وأن تغل يد السياسة ـ السياسة بمعناها الشائع المعروف وإلاَّ فهي من حيث هي فن من أرفع الفنون قدراً ـ عن التدخل في الأزهر باحباط سياسة أولي

الأمر فيه فهو جامعة دينية علمية ينبغي أن تتفرغ لرسالتها على ضوء ما تقتضيه طبيعة وجوده

وأما الناحية الخلقية فليس ينفعها سوى ضرب الأمثال . لأجل أن نخرج جيلاً جديداً لا بدَّ من مثل عليا ، نعم مثل عليا في كل ناحية من مناحي الحياة وما أحوجنا نحن الى رجال كسعيد بن المسيب ، أو احمد بن حنبل . وأخيراً كعز الدين بن عبد السلام .

ان سعيد بن المسيب دعى للبيعة للوليد ، ولسليمان ، بعد عبد الملك بن مروان . فقال : لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار ، فقيل له : ادخل من الباب واخرج من الباب الآخر . قال : والله لا يقتدى بي أحد من الناس . فجلد مائة سوط فلم ينزله هذا الجلد عن رأيه .

وأما الناحية العلمية فأحب أولاً أن أقدم لها بكلمة .

من الناس من يخاف على الأزهر كلما رأوا يداً تريد أن تمتد اليه بتغيير بعض ما ألف فيه من نظم ، ونسوا أن تغيير الأشياء أو تحولها شرط أساسي في رقيها ، وأن الأزهر شيء من هذه الأشياء وهو خاضع لقانون التغير أثبت نواميس الكون ، وأن جمود شيء ما على صفات واحدة والعالم من حوله يتغير معناه فناء ذلك الشيء . وفي وسع أولئك الذين يخافون على الأزهر من كل تغيير يراد له في وسعهم أن يلعنوا هذا التغيير ، ولكن ليس في وسعهم أن يتحاشوه . وهل ينكر أحد أن الأزهر الآن غير ما كان في الماضي ؟ وسيكون في المستقبل حتماً غير ما هو عليه الآن رضي الخائفون أم لم يرضوا . عرفنا فيما سبق أن الأزهر حرّم دراسة المنطق حتى أن السيوطي وهو عالم جليل من علماء مصر ألف في ذلك كتاباً سماه « القول المشرق في تحريم الاشتغال بالمنطق » والأزهر الآن يدرس الفلسفة بما فيها المنطق بل ويتخصص بعض أبنائه فيها . ولو قال الآن فيه أحد بما قال به السيوطي من قبل لسخروا منه .

قال الأزهر في الماضي بقفل باب الاجتهاد وعرف في وقت ما التعصب المذهبي وأشد الناس حماسة للقديم فيه الآن يعتبر القول بذلك قصوراً في العقل وشذوذاً في الرأي حتى أن الأستاذ الامام المراغي رحمة الله عليه قال في العام الماضي في حديث له في جريدة الاهرام افتتح به أحاديث شهر الصوم المبارك قال بالغاء المذاهب في الفقه الاسلامي والرجوع الى القرآن الكريم مصدر هذه المذاهب ولم نسمع في الأزهر صوتاً ارتفع بانكار ذلك عليه

ومعنى ذلك أن الأزهر الآن غير ما كان في الماضي .

الأزهر فيما مضى كان يعتبر الالعاب الرياضية حدثاً لا يتفق وكرامة طالب العلم حتى أني أذكر وأنا طالب في السنة الأولى من القسم الثانوي أنا اتفقنا بصفة أصدقاء على إنشاء ناد رياضي نمارس فيه ألعاب الرياضة . فلما علم بذلك شيخ القسم يومئذٍ رحمة الله عليه أحضرنا وأخذ علينا تعهداً بالاقلاع عن هـذه الفكرة وإلاّ نزل بنا ما لا يحمد عقباه . والتدريب العسكري الآن في الأزهر حصة رسمية يشرف عليها أولو الأمر فيه .

وأذكر حتى وأنا في التخصص وأظن ذلك كان في سنة ١٩٢٧ أو ١٩٢٨ لا أذكر جلس أستاذ لنا يلقي درسه ونحن أمامه نستمع وأخذ يشرح لنا حديثاً نبويًّا شريفاً في باب عنوانه « باب احترام العلماء » وأخذ رضوان الله عليه يخرج الألف واللام في العلماء وهل هي للجنس فيكون مدخولها الحقيقة من حيث هي أو للعهد الخارجي ومدخولها فرد معين من أفراد الحقيقة ، أو للعهد الذهني ومدخولها فرد مبهم من أفراد الحقيقـة . أو للاستغراق ومدخولها كل أفراد الحقيقة . وانتهى به المطاف إلى أن الألف واللام ها هنـا للعهد والمعهود هم ....

فسألته ويذكر ذلك جيداً بعض إخواني وهم الآن من مدرّسي المعاهد الدينيـة سألته يامولانا ألا يحترم فلان .... العالم القانوني الضليع . وفلان .... المهندس الـكبير ؟

وخشيت أن أذكر له « غليليو » أو « اديسون » مثلاً ممن لهم فضل على الانسانية لا ينكر فثارت ثائرته عليّ رضوان الله عليه وأسكنه فسيح جناته .

وعلى الجملة فالفكر الأزهري الآن أخذ يتحرّر من سلطان ما حسبه بعض الناس ديناً وهو عند الله ليس بدين . وأخذ يتجه اتجاهاً طيباً بالقياس الى ما كان عليه من قبل ، فطلبة الأزهر الآن فيهم حيوية فتية ، وفيهم استعداد وثاب للتمشي مع روح العصر بما لا يتعارض مع ما ورثنا من عرف صحيح ، ولـكن كل ذلك مقفل عليه في صندوق فما هو إلاّ أن يفتح وأخشى أن يكسر . لذلك أرى أولا .

١ — القضاء على تلك الظاهرة الخطيرة ظاهرة الامتحان في المقروء لا في المقرر . والسير بالطلاب في جو ملائم الى الغاية التي لأجلها كان الأزهر

٢ — وضع أصل للغرض والغاية من التعليم في الأزهر يسير على هداه الأساتذة والطلاب وتنفيذه بكل دقة وعناية .

٣ — النظر في أمر الكتب التي تدرس في الأزهر « على ضوء ما تقدم » .

٤ — إعطاء الأساتذة حق الاشراف على الطلاب في تقويم الأخلاق ، والطباع والنفوس فلا يصح اعطاؤهم حق تقويم العقول واهمال هذه النواحي التي تتصل برسالة الأزهر أولاً وقبل كل شيء. ومن وسائل ذلك :

ا — الاكثار من الاجتماعات التي يشترك فيها الأساتذة والطلاّب اشتراك صداقة واخوة . ب — وفتح أندية رياضية للطلاب وأخرى للطلاب والأساتذة ولا يشترك في الأخيرة الاّ من اجتمعت فيه شروط خاصة كالتفوق في الألعاب الرياضية ، أو التفوق في العلم وأنا على ثقة من أن الأندية الرياضية اذا فتحت ابوابها للازهريين سيرون منهم فرقاً رياضية ممتازة تفخر بها مصر .

٥ — جعل الرياضة البدنية مادة من مواد الدراسة في المعاهد .

٦ — أن يجعل في الكليات نظام المحاضرات العامة يقوم بها الأساتذة ويدعى اليها الاخصائيون في النواحي المختلفة من رجالات الأمة والجامعات . وبهذه المناسبة أقول إن هذه المحاضرات أشبه شيء بالأزهر القديم فلنعده فيها على أن تسجل هذه المحاضرات

٧ — تكوين جماعات لما يأتي : —

ا — للترجمة وبخاصة فيما يرى أن المكتبة الأزهرية فقيرة فيه . ب — لنشر الكتب على نحو يسهل للباحث مهمته . وما أحوجنا في هذه الناحية الى مجهود كمجهود المستشرقين في نشر بعض كتبنا . ج — لعمل قواميس في المصطلحات المختلفة التي تمس حياة الأزهر

٨ — تشجيع المؤلفين وقصر من يبرع فيه عليه فحسب .

٩ — ربط الأزهر بالبيئات العلمية المختلفة وذلك يكون بمواصلة البعوث للتخصص في العلوم والفنون المختلفة التي تمس رسالتنا وبخاصة في تاريخ الأديان والمقارنة بينها وفي

القانون وفي اللغتين الفارسية ، والعبرية . ويعمل على أن تدرس كلية أصول الدين تاريخ الأديان والمقارنة بينها . ويدرس القانون في كلية الشريعة نواة لايجاد متخصصين في الفقه الاسلامي مقارناً بغيره من الشرائع وتدرس اللغتين السابقتين في كلية اللغة . نواة لمتخصصين أيضاً في هاتين اللغتين .

١٠ — القيام برحلات ثقافية الى الأقطار الشقيقة وغيرها وبخاصة الى منزل الوحي ومهد العربية .

١١ — العمل على أن تكون الجامعة الأزهرية هي المصدر الأول في التخصص في التاريخ الاسلامي وأدب اللغة العربية. نعم نحن نتخصص عند غيرنا في طرق البحث ، ولكن هل هناك ما يمنع من أن نكون نحن المصدر الأول .

١٢ — تدريس لغة أجنبية في الأزهر ابتداءً من السنة الأولى بالقسم الثانوي .

١٣ — حيث انه ليس في الامكان قصر الزي الأزهري على أبنائه فحسب فليجعل زي جامعي خاص للازهر يختلف باختلاف الدرجات العلمية .

١٤ — العناية بالمكتبات في المعاهد والكليات عناية تحقق الغرض منها .

١٥ — حيث إن الحرب قد أوقفت مشروع بناء المدينة الجامعية الأزهرية فلا أقل من الاسراع الآن ببناء القاعة العامة للمحاضرات وأملنا كبير في إحياء المشروع حتى تضاعف خطوات الأزهر الى الأمام.

وفيما يختص بخدمة الأزهر للمجتمع أرى أن توجه خطبة الجمعة في جميع مساجد القرى والمدن توجيهاً جديداً أساسه إيجاد الخطيب أولاً ، ثم توجيه الشعب فيها الى القيم الروحية والى الزراعة والصحة على أن يكون هذا الخطيب متصلاً برجال الزراعة والصحة ليستطيع أن يبين للمجتمعين المجد فيثني عليه ، والمقصر فيستنهضه ، وذلك يستدعي وضع برنامج عام شامل لاصلاح القرية ، على أن يعنى عناية تامة بمسألتين اثنتين : وهما النظافة ، والنظام . ولست في حاجة الى القول بأن هذه الخطبة لو وجهت لتؤدي غرض الشارع منها لتقلت قرى الريف ومدنه نقلات عظيمة في وقت قصير .

هذا بحث قدمته خالصاً لوجه الله والعلم ولم يبعثني عليه سوى حبي للخير وغيرتي على الأزهر وما أريد إلا الاصلاح . ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضما .

فهرس الكتاب

٣ — تصدير
٧ — مقدمة
١٠ — كلمة عن تاريخه المادي
١٢ — كلمة عن الحركة العلمية الاسلامية بمصر قبل أن يكون الازهر
١٦ — كلمة عن تاريخه العلمي
٢٧ — كلمة عن انتاج الازهر
٣٣ — تصدير السيوطي (مثل عن البحث والدرس في ذلك العصر)
٤٠ — نظام التعليم القديم في الازهر
٤٣ — تحريم الاشتغال بالمنطق والنهي عن التأليف
٤٦ — أشهر الكتب التي تدرس في الازهر
٥١ — خطوات الازهر
٥٦ — مراحل التعليم في الازهر والعلوم التي تدرس فيه
٥٧ — الشهادات
٥٨ — مجلس الازهر الأعلى
٥٩ — المعاهد الدينية
٦٠ — فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق
٦٤ — شيوخ الازهر
٧٠ — طلبة الازهر
٧١ — خريجو الازهر
٧١ — ميزانية الازهر
٧٤ — مكتبة الازهر
٧٦ — الاتجاه الحديث للازهر وكيف ينبغي أن يكون

Table N= 71 743
22

LIBF

LG
511
C45
R2
1946

MAR 1974

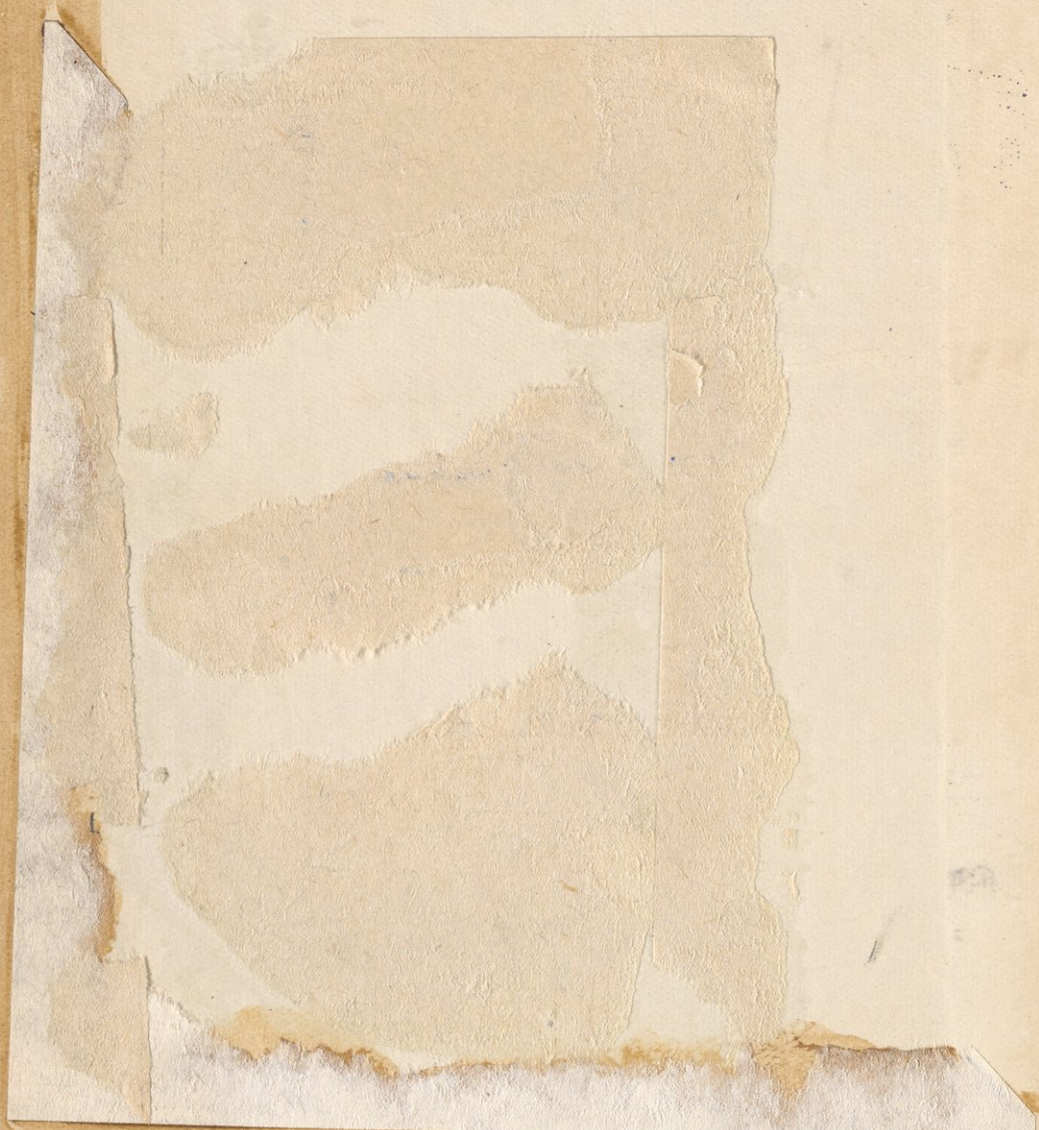

LG
511
C45
R2
1946